

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Ghardaia
Faculty of Social and Humanity Sciences
History Departement

جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

دروس في مادة

"تاريخ الجزائر المعاصر 1"

مقدمة لطلبة السنة أولى علوم إنسانية جذع مشترك

في السداسي الأول

شعبة تكوين في: العلوم الانسانية

تخصص: علوم انسانية

من اعداد الأستاذ:

د/لكحل الشيخ

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2022-2023م

فهرس المحتويات

5	مقدمة
	المحاضرة التمهيديّة: تقديم مادة تاريخ الجزائر المعاصر 1
7	أولاً: معلومات حول المادة:
8	ثانياً: أهداف المادة والمعارف المطلوبة مسبقاً:
8	ثالثاً: المصادر والمراجع الأساسية:
8	رابعاً: محتوى المادة:
	المحاضرة الأولى: الحملة الفرنسية على الجزائر
11	أولاً: نظرة على تاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال العهد العثماني
12	ثانياً: أسباب الحملة ودوافعها
12	ثالثاً: سير الحملة
13	رابعاً: نتائج الحملة
	المحاضرة الثانية: مقاومة الأمير عبد القادر
17	أولاً: التعريف بشخصية الأمير عبد القادر
18	ثانياً: دوافع مقاومة الأمير عبد القادر
19	ثالثاً: المرحلة الأولى: 1832-1837
19	1- معاهدة دي ميشال:
20	2- معاهدة التافنة:
20	رابعاً: المرحلة الثانية: 1837-1847
20	1- التنظيمات الإدارية في دولة الأمير عبد القادر
21	2- حرب الإبادة:
	المحاضرة الثالثة: مقاومة أحمد باي
25	أولاً: التعريف بشخصية أحمد باي
25	ثانياً: مراحل مقاومة أحمد باي
26	المرحلة الأولى: 1830-1837
26	1. معركة قسنطينة الأولى 1836
27	2. معركة قسنطينة الثانية 1837

28	المرحلة الثانية: 1837-1849
29	ثالثا: تقييم مقاومة أحمد باي
		المحاضرة الرابعة: مقاومة بلاد القبائل: 1851 1857
31	أولا: المحاولات الفرنسية الأولى لاحتلال بلاد القبائل:
32	ثانيا: دوافع احتلال المنطقة (أهميتها):
32	ثالثا: موقف سكان بلاد القبائل من الاحتلال:
33	رابعا: السياسة الفرنسية تجاه المنطقة (دوافع المقاومة):
34	خامسا: مراحل المقاومة:
34	المرحلة الأولى:
35	المرحلة الثانية:
35	1. مقاومة الشريف بوغلة.
37	2. مقاومة بوحمارة.
38	3. مقاومة لالا فاطمة نسومر
		المحاضرة الخامسة: ثورة الزعاطشة
42	أولا: أسباب الثورة
42	ثانيا: مراحل ثورة الزعاطشة.
42	1. المرحلة الأولى " مرحلة انتصار الثورة ":
48	2. المرحلة الثانية " مرحلة حصار الزعاطشة ":
51	ثالثا: نتائج ثورة الزعاطشة.
		المحاضرة السادسة: مقاومة شمال الصحراء
55	أولا: أهداف وأبعاد الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية
55	1 - بداية الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية:
57	2- أهداف التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية:
57	أ / الأهداف الاقتصادية:
58	ب/- الأهداف الاستراتيجية :
58	ج/- الأهداف العسكرية:
59	ثانيا: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله
61	ثالثا: مقاومة الشريف بوشوشة.

المحاضرة السابعة: ثورة الناصر بن شهرة

- أولاً: المحاولات الفرنسية الأولى لاحتلال الأغواط:..... 64
1. التعريف بـابن ناصر بن شهرة:..... 64
- الصراعات الداخلية في الاغواط قبل الاحتلال الفرنسي: 66
- الاحتلال الفرنسي لمدينة الاغواط: 69
- ثورة بن ناصر بن شهرة في الاغواط:..... 71
- بداية الثورة في مدينة الاغواط 71
- ثالثاً: ثورة الناصر بن شهرة بعد سقوط الأغواط:..... 73
- 1- مشاركته مع ثورتي الشريف بن عبد الله وأولاد سيد الشيخ 74
- أ- ثورة الشريف بن عبد الله 1851 -1861: 74
- ب)- مع ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1869 76
- 2-مشاركته في ثورة بوشوشة: 78

المحاضرة الثامنة: ثورة أولاد سيدي الشيخ

- أولاً: أولاد سيدي الشيخ..... 81
- ثانياً: أسباب الثورة 81
- ثالثاً: أحداث الثورة..... 83

المحاضرة التاسعة: ثورة المقراني والحداد

- أولاً: الباشاغا المقراني والشيخ الحداد..... 87
- ثانياً: أسباب الثورة 87
- ثالثاً: أحداث الثورة..... 89
- رابعاً: تقييم نتائج الثورة 91

المحاضرة العاشرة: ثورة الشيخ بوعمامة

- أولاً: الشيخ بوعمامة 94
- ثانياً: مراحل ثورة بوعمامة 95
- 1- المرحلة الأولى 1881- 1883 95
- 2- المرحلة الثانية 1883- 1908 99
- خاتمة 101

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

هذه مجموعة من الدروس في مادة تاريخ الجزائر المعاصر 1 كنت قد درّستها لطلبة السنة أولى علوم إنسانية في السداسي الأول بقسم التاريخ بجامعة غرداية على مدى ثلاث سنوات.

وقد قسّمت محاور المادة الموجودة في عرض التكوين على عشر محاضرات، تنوعت في الطول والقصر على حسب المحور والعناصر المرتبطة به، إضافة إلى ذلك فإني حرصت على توضيح الدرس للطلبة بضرب الأمثلة واستخدام الوسائل والخرائط والبرامج الإلكترونية لتيسير فهمهم وتسهيل استيعابهم، ولذلك امتدت بعض المحاضرات إلى حصتين، أو ثلاث.

ورغم أنني التزمت بمحاور المادة، إلا أنني ركزت في هذه المحاضرات على فترة المقاومات الشعبية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، لكي تكون مادة تاريخ الجزائر المعاصر 2 للسداسي الثاني تتمحور حول الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.

وأهم المحاور التي درستها خلال هذا السداسي هي:

- الحملة الفرنسية على الجزائر
- مقاومة أحمد باي
- مقاومة الأمير عبد القادر
- ثورة منطقة القبائل
- مقاومة شمال الصحراء
- ثورة الزعاطشة
- ثورة أولاد سيدي الشيخ
- ثورة المقراني والحداد
- ثورة الشيخ بوعمامة
- وغيرها...

والهدف من تدريس هذه المحاور هو تعريف الطلبة بشكل مختصر بتاريخ المقاومات الشعبية في الجزائر أسبابها، أحداثها، ونتائجها.. وفي كثير من الأحيان نعلم إلى تقييمها والتعرف على أسباب فشلها.

وقد كان منهجي في كل درس يتمثل في استفتاح المحاضرة بمقدمة أذكر فيها الطلبة بعنوان الدرس السابق وأهم النتائج المتوصل إليها، ثم أعرض أهداف الدرس الحالي وأهم عناصره. ثم أتوسع في شرح عناصر الدرس، لأختمه بخاتمة تلخص أهم النتائج.

كما أنني عمدت في كل محاضرة إلى تذييلها بأهم المراجع التي يمكن للطلبة الاستفادة منها والتوسع فيما يخص العناصر المذكورة في المحاضرة.

وقد يلاحظ القارئ وجود بعض العناصر غير الموجودة في محاور عرض التكوين؛ مثل تشريح مختصر لبعض المقاومات والثورات، وقد رأينا أنها تصب في أهداف عرض التكوين ولا تخرج عن محاوره. وفي الأخير، أرجو أن أكون قد وفقت في إفادة الطلبة والقارئ لهذه المطبوعة بأهم المقاومات والانتفاضات التي شهدتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ضمن محاور هذا السداسي، والحمد لله أولاً وأخيراً.

الدكتور: الشيخ لكحل

جامعة غرداية يوم 10 ديسمبر 2022

المحاضرة التمهيديّة:

تقديم مادة تاريخ الجزائر المعاصر 1

أولاً: معلومات حول المادة:

ثانياً: أهداف المادة والمعارف المطلوبة مسبقاً:

ثالثاً: المصادر والمراجع الأساسية:

رابعاً: محتوى المادة:

مقدمة

إنّ دراسة تاريخ الجزائر خلال الفترة المعاصرة يستهوي الكثير من الدارسين وحتى الطلبة وذلك لما واكبه من مرحلة حالكة مرت بها الجزائر حين كانت ترزأ تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، وما شهدته من أعمال نضالية وجهادية أبلى فيها الجزائريون البلاء الحسن لصد الهجمة الصليبية الاستعمارية عبر انتفاضات وثورات أثنخت في القوات الفرنسية وأعاقت تقدمهم في مناطق الجزائر المختلفة فترة طويلة. سنحاول في هذه الحصة تعريفكم بمادة "تاريخ الجزائر المعاصر 1" المقررة عليكم في هذا السداسي، وبكل ما يتعلق بطريقة تحصيلها والأهداف المرجوة من تدريسها، إضافة إلى محتواها.

أولاً: معلومات حول المادة:

تسمية المادة: " تاريخ الجزائر المعاصر 1"

وهي مادة ضمن وحدة التعليم الأساسية في السداسي الأول من تكوين ليسانس ل م د.

الحجم الساعي للمادة في السداسي هو 45 ساعة خلال 15 اسبوعاً، بحجم 1سا30د محاضرة+

1سا30د أعمال موجهة أسبوعياً.

أما طريقة التقييم: فإنّ نقطة المادة تتكون مناصفة من علامة الأعمال الموجهة 50% + امتحان المحاضرة 50%، أما عدد الأرصدة: 5، والمعامل : 2.

ثانيا: أهداف المادة والمعارف المطلوبة مسبقا:

تهدف هذه المادة إلى منح الطالب معرفة مبسطة بتاريخ دخول الاستعمار الفرنسي وتوغله داخل مدن ومناطق الجزائر المختلفة وكيف كانت ردة فعل الشعب الجزائري لهذا الدخيل الأجنبي، كما أن الطالب سيتمكن في نهاية هذا السداسي من التعرف على أهم المقاومات والانتفاضات التي شهدتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين إضافة إلى أهم زعمائها وروادها.

ثالثا: المصادر والمراجع الأساسية:

كثيرة هي المصادر والمراجع المتخصصة في مادة تاريخ الجزائر المعاصر 1. ويمكن الاعتماد على المراجع التالية والتي تحوي أغلب المحاور والعناصر المدروسة في هذا السداسي، لكن يمكن الاستعانة والتوسع ببقية المراجع الموجودة في قسم البيبليوغرافيا في نهاية هذه المطبوعة. أما أهم التي يمكن المراجع المعتمدة فهي:

1. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
2. خوجة حمدان بن عثمان: المرأة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
3. الزهار أحمد الشريف: مذكرات، تح: المدني أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.
4. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
5. سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر 2009.
6. فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2002.

رابعا: محتوى المادة:

في محاضرات هذا السداسي سنتطرق إلى المحاور التالية:

- 1- الحملة الفرنسية على الجزائر
- 2- مقاومة أحمد باي
- 3- مقاومة الأمير عبد القادر
- 4- ثورة منطقة القبائل
- 5- مقاومة شمال الصحراء
- 6- ثورة الزعاطشة
- 7- ثورة أولاد سيدي الشيخ
- 8- ثورة المقراني والحداد
- 9- ثورة الشيخ بوعمامة.

المحاضرة الأولى

الحملة الفرنسية على الجزائر

أولاً: نظرة على تاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال العهد العثماني

ثانياً: أسباب الحملة ودوافعها

ثالثاً: سير الحملة

رابعاً: نتائج الحملة

مقدمة

يذهب كثير من المؤرخين الجزائريين إلى اعتبار تاريخ 5 جويلية 1830 معلماً مفصلياً في تاريخ الجزائر حيث اتخذوه حداً فاصلاً في التحقيب التاريخي للجزائر، وزعموا أن الجزائر انتقلت منذ هذا التاريخ من الفترة الحديثة التي واكبت العهد العثماني في الجزائر إلى الفترة المعاصرة والتي واكبت العهد الكولونيالي.

ورغم أن هذا التحديد لا يعتبر دقيقاً إلا أنه يمكن الاستئناس به في توضيح الفرق بين حقبتين زمانيتين متباينتين، كانت في اولها الجزائر أياًلّة مستقلة ذات سيادة وقوةً في البحر المتوسط، وأضحت في الثانية مستعمرة تعاني كل مظاهر القهر والظلم والتخلف. فما أسباب الحملة الفرنسية على الجزائر؟ وما نتائجها؟

أولاً: نظرة على تاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال العهد العثماني

عند مقارنة العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية نجد أن علاقات فرنسا بالجزائر كانت على العموم طيبة، فمنذ القرن السادس عشر كانت فرنسا تتمتع في الجزائر بامتيازات تجارية خاصة، فكان لها مؤسسات تجارية في عنابة، والقالة، ورأس بونة، والقل. وكانت هذه المؤسسات تدفع ضرائب سنوية

متفقاً عليها إلى الباشا من جهة وإلى باي قسنطينة (الذي تقع هذه المؤسسات في إقليمه) من جهة أخرى. وكانت فرنسا، في مقابل ذلك، تتمتع بحق صيد المرجان وتصدير الحبوب إلى أوروبا.

وقد تطورت هذه العلاقات فكانت أفضل ما تكون في عهد الثورة الفرنسية؛ فقد اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة في وقت كانت فيه تحت حصار أوربي محكم. وتكونت بين الدولتين علاقات ودية باستثناء فترة الحملة الفرنسية على مصر (1798 - 1802) حين طلب السلطان من الجزائر إعلان الحرب على فرنسا. وفي 1796 أقرضت الجزائر حكومة الثورة في فرنسا مليوناً من الفرنكات بدون فائدة، على أن تستعمل فرنسا هذا المبلغ في شراء الحبوب من الجزائر. وفي سنة 1794 أذنت الجزائر للحكومة الفرنسية أن تتمول في موانئ الجزائر عندما كانت الأسواق الأوربية مغلقة في وجه التجارة الفرنسية. وفي أول الأمر كان شراء المواد الغذائية من الموانئ الجزائرية يتم بطريقة مباشرة، فتدفع الشركة الفرنسية المعنية (الشركة الملكية ثم خليفتها الوكالة الوطنية الفرنسية) الثمن إلى الحكومة الجزائرية. ثم غيرت فرنسا طريقة الدفع، أثناء حكومة المؤتمر، فلجأت إلى التاجرين اليهوديين الجزائريين: بكرى وبوشناق ليقوما بالدفع بدلها، إلى الحكومة الجزائرية.

وقصة تدخل هذين اليهوديين في العلاقات بين الجزائر وفرنسا تشكل جزءاً أساسياً في تطور العلاقات بين البلدين التي بدأت بالحصار ثم الحملة وانتهت باحتلال مدينة الجزائر سنة 1830.

ثانياً: أسباب الحملة ودوافعها:

1 - الأسباب السياسية:

- اعتبار فرنسا حكومة الرياس في الجزائر تابعة للإمبراطورية العثمانية التي بدأت تنهار والدول الأوربية تنهياً للاستيلاء على الأراضي التابعة لها
- كان شارل العاشر ملك فرنسا يرغب في خلق تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر المتوسط حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية في هذا البحر والتمركز في ميناء مدينة الجزائر الذي كان يعتبر في نظر الملك الفرنسي تابعا للإمبراطورية العثمانية المنهارة.

● في عام 1827 م وجد شارل العاشر معارضة داخل مجلس النواب تسببت في مشاكل كبيرة له، وكادوا أن يطيحوا به، ولتحويل أنظار الفرنسيين إلى الخارج اتخذ " شارل العاشر " الحملة على مدينة الجزائر وسيلة لحل مشاكله وإسكات المعارضة وكسب رضا الشعب الفرنسي.

2 - الأسباب العسكرية:

● انهزام الجيش الفرنسي في أوروبا وفشله في احتلال مصر والانسحاب منها قد دفع بنابليون بونابرت أن يبعث بأحد ضباطه وهو بوتان سنة 1809م ليتجسس على الجزائر ويدرس الخطط لغزوها، وقد اترح هذا الجاسوس في خطته ان يتم غزو الجزائر من البر عبر ساحل سيد فرج وأن تكون الحملة شهرا واد في فصل الصيف.

● انهزام نابليون في معركة واترلو سنة 1815 وتحالف الدول الكبرى ضد الجيش الفرنسي في أوروبا، جعله يفكر في سياسة التوسع في شمال إفريقيا لإشغال الجيش عن هزائمه في أوروبا.

3 - الأسباب الاقتصادية:

● كانت أوروبا بسبب ازدهار اقتصادها في حاجة إلى التوسع واستغلال الآخرين من وراء البحار، هذا التنافس عجل بعزم فرنسا على احتلال الجزائر ومن ثم التوسع على باقي الأقطار والاستثمار بخيراتها.

● بحث فرنسا عن أسواق جديدة لترويج منتجاتها.

4 - الأسباب الدينية:

● الصراع الذي كان قائما بين الدول المسيحية الأوروبية والدولة العثمانية الإسلامية قد انعكس على الجزائر لأن الأسطول الجزائري يعتبر في نظر الدول الأوروبية امتداد للأسطول العثماني، وهو ما دفع بالدول المسيحية في أوروبا أن تتعاون فيما بينها لضرب الجزائر.

● كان الأوروبيون يسمون الجزائر "عش القراصنة" ويتهمونها بأن بحارتها كانوا يقومون باسترقاق المسيحيين ولذلك بدأوا يخططون لضرب الجزائر.

أما السبب المباشر الذي تذرعت به فرنسا لتجهيز حملة على الجزائر فكان اتهام الداوي بأنه قام بالإساءة إلى القنصل الفرنسي "دوفال"، فيما عرف بحادثة المروحة.

ثالثا: سير الحملة:

1- الحصار البحري:

اتخذت فرنسا من حادثة المروحة ذريعة لاحتلال مدينة الجزائر، وشرعت في تطبيق الحصار يوم 15 جوان 1827م. وكرد فعل من الداوي حسين على هذا الحصار أمر بهدم المؤسسات التجارية الفرنسية في القالة وعنابة في 26 جوان 1827م، وما سهل مهمة الحصار هو أنه كانت معظم وحدات الأسطول البحري الجزائري في اليونان تشارك إلى جانب الدولة العثمانية في "معركة نافارين" في أكتوبر 1827 إذ لم تستطع السفن المتبقية أن تواجه الحصار.

2- غزو المدينة:

بعد فشل المفاوضات مع الداوي أمر الملك الفرنسي شارل العاشر قائد الحملة الكونت دوبورمون بغزو مدينة الجزائر. تكونت الموجة الأولى للحملة من مائتي قطعة بحرية وصلت إلى مياه الجزائر منذ 13 جوان 1830 وألقت مراسيها في ساحل سيدي فرج. وقامت السفن بإنزال القوات فورا واستولت على ساحل سيدي فرج وعلى قلعة صغيرة غير بعيدة عن الساحل، واستمر الإنزال بعد ذلك دونما توقف وبدون مقاومة تقريبا. وجاءت بعد ذلك الموجة الثانية وهي مكونة من 110 قطعة بحرية من أنواع مختلفة وأحجام متباينة، ألقت مراسيها يوم 16 جوان، وقامت بإنزال كل ما تحمله من الجنود والمواد التموينية والذخائر الحربية، وعادت بعد ذلك إلى فرنسا حتى تنقل حمولات جديدة.

وصلت بعد ذلك قطع حربية بحرية من كل الأنواع، وهي تغدو جيئة وذهابا بين طولون والجزائر لتنقل كل يوم المزيد من القوات مع تأمين متطلبات القوات التي بلغ عدد أفرادها 30 ألف مقاتل منهم 25 ألفا من المشاة وخمسة آلاف من رجال المدفعية والمهندسين و1500 فارس مع خيولهم و3500 من القناصة.

أما من الجانب الجزائري فقد أرسل حسين باشا المراسيل إلى داخل البلاد يدعون إلى الجهاد ضد الفرنسيين. وقد استجاب لندائه الرسمىون والأهالي على السواء. فوعده الحاج أحمد باي قسنطينة ب 30000 محارب، ووعده حسن باي وهران ب 6000 محارب بقيادة الخليفة، نظرا لكبر سن الباي، ووعده مصطفى بومزراق باي التيطرى ب 20000 محارب، وجمع شيوخ جرجرة بين 16 و 18 ألف محارب، وجمع أهالي ميزاب حوالي 4000 محارب.

ورغم كل هذه الوعود إلا انه لم يصل إلى مدينة الجزائر سوى أعداد قليلة من الأهالي، ومن وصل منهم لم يزودوه بالأسلحة الكافية لصد الهجوم الفرنسي، وهي من الأخطاء الكثيرة وقعت فيها حكومة الداى حينها في التعامل مع الأزمة. وكان حسين باشا قد عزل قائد الجيش الأغا يحيى وعين خلفا له صهره إبراهيم آغا الذي جاء ليحارب فرنسا بدون جيش منظم، وبدون ذخيرة، وبدون مؤونة، وبدون شعير للخيال، وبدون المقدرة الضرورية على مواجهة الحرب. فعند الهزيمة في معركة اسطاوالي يوم 19 جوان 1830 هرب ابراهيم من الميدان وترك خلفه الجيش والخيام. وبعد استيلاء الفرنسيين على قلعة مولاي حسن، جمع حسين باشا أمناء الطوائف وأعيان المدينة ورجال القانون والدين ليتدارس معهم شروط الفرنسيين لتجنيب المدينة الخراب والدمار.

3- معاهدة الاستسلام:

توجه مندوب الداى مصطفى بومزراق رفقة قنصل إنكلترا إلى المعسكر الفرنسي مساء 4 جويلية 1830، وسألا القائد العام للحملة الفرنسية دوبرمون عن شروط الصلح التي يريدها، فحررها لهما، فأخذها بومزراق وعاد بها إلى حسين باشا فجمع رجاله وحاشيته، وتلى عليهم نص هذه الشروط، وحينئذ لم يجد الباشا بُدا من توقع المعاهدة والتسليم بهذه الشروط:

أولا: يتسلم الجنود الفرنسيون حصن القصبه، وسائر الحصون الأخرى التابعة للجزائر ومرسى هذه المدينة، في الساعة العاشرة من صبيحة يوم 5 جويلية 1830م.

ثانيا: يتعهد القائد العام للحملة لصاحب السمو داي الجزائر بأن يترك له حريته وكل ثروته الخاصة.

ثالثا: يستطع الداوي بكل حرية أن يسافر بصحبة عائلته وأمواله إلى المكان الذي يختاره، ويكون تحت حماية القائد العام الفرنسي طوال إقامته في الجزائر، وتسهر فرقة من الجند الفرنسي على حراسته وحراسة عائلته.

رابعا: يتمتع كافة الجنود الأتراك التابعين لجيش الجزائر بالحقوق المقررة في الفقرات السابقة.

خامسا: تكون إقامة الشعائر المحمدية الدينية حرة، ولا يقع أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات، ولا بدينهم، ولا بأموالهم، ولا بتجارهم وصناعاتهم، وتحترم نساؤهم ويتعهد القائد العام بذلك عهد الشرف.

سادسا: يتم تبادل هذه الوثيقة بعد توقيعها قبل الساعة العاشرة من صباح يوم 5 جويلية 1830م. ويستلم الجنود الفرنسيون فوراً القصبه وقلاع المدينة الأخرى.

رابعا: نتائج الحملة

- 1- نهاية العهد العثماني بالجزائر باستسلام الداوي حسين للفرنسيين وتسليمهم أسوار القصبه مقر الحكم.
- 2- تخريب مدينة الجزائر من طرف الجنود الفرنسيين وعدم وفاء القائد دوبرمون بعهوده بحماية ممتلكات الجزائريين وأرواحهم.
- 3- استيلاء الفرنسيين على خزينة القصبه التي كانت تحوي أكثر من 100 مليون فرنك ذهبي.
- 4- ترحيب أغلب الدول الأوروبية باحتلال مدينة الجزائر. لأنهم كانوا يعتبرونها سببا رئيسيا في استرقاق المسيحيين في الحوض الغربي للمتوسط.
- 5- بداية المقاومة الشعبية للاستعمار الفرنسي في شرق الجزائر وغربها.

بيبلوغرافيا مختارة:

- 1- بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.

- 2- خوجة حمدان بن عثمان: المرأة، تقديم وتعريب محمد العربي الزييري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
- 3- الزهار أحمد الشريف: مذكرات، تح: المدني أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.
- 4- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
- 5- سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر 2009.
- 6- فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2002.

المحاضرة الثانية

مقاومة الأمير عبد القادر

أولاً: التعريف بشخصية الأمير عبد القادر

ثانياً: دوافع مقاومة الأمير عبد القادر

ثالثاً: المرحلة الأولى: 1832-1837

3- معاهدة دي ميشال:

4- معاهدة التافنة:

رابعاً: المرحلة الثانية: 1837-1847

3- التنظيمات الإدارية في دولة الأمير عبد القادر

4- حرب الإبادة:

مقدمة:

بعد توقيع الداي حسين على معاهدة استسلام مدينة الجزائر ظنّت فرنسا الاستعمارية أنّها تمكّنت من القضاء على الدولة الجزائرية وأنّ الجزائريين سيُذعنون لها في كل شبر من ترابها، بيد أنّها لم تكن تتوقع أن تُجابه بمقاومات شعبية بأسلة أينما وصلت قواتها. ومن أهمها مقاومة الأمير عبد القادر. فمن هو الأمير عبد القادر؟ وكيف قاوم الاستعمار الفرنسي؟

أولاً: التعريف بشخصية الأمير عبد القادر

هو الأمير عبد القادر بن محي الدين الحسي، مجاهد وفقه وشاعر وأديب ورجل دولة جزائري. ولد بالقيطنة على مسافة حوالي 20 كم غرب مدينة معسكر سنة 1807 م، حفظ القرآن الكريم، وتلقّى مبادئ العلوم الإسلامية واللغوية على يد والده الشيخ محي الدين، كما تدرّب على الفروسية واستعمال السلاح رحل عام 1821 إلى وهران الاثتمام تعليمه، قام حسن باي (باي وهران) بفرض الإقامة الجبرية عليه وعلى ابنه عبد القادر بوهران ما بين عامي 1823-

1825م، وبعد رفع الإقامة الهوية عنها، ذهب مع والده سنة 1825 م لأداء فريضة الحج فزار عدة بلدان في المغرب والمشرق العربيين قبل أن يعودا إلى الجزائر سنة 1828م.

وبعد غزو الفرنسيين للجزائر واحتلال وهران في جانفي سنة 1832، اقترح سكان إقليم وهران على الشيخ محي الدين مبايعته على الإمارة، فاعتذر، فبايعوا ابنه عبد القادر في خريف عام 1832 م أميرا عليهم، وظل يقاوم في الاحتلال الفرنسي إلى أن ألقى السلاح مكرها سنة 1947 مقابل السماح له بالهجرة إلى الشرق، لكن الفرنسيين حبسوه في سجن لامالغ الحربي بمدينة طولون حتى 14 أبريل 1848، ثم احتجزوه في قلعة بلوا مدينة بو في جنوب غرب فرنسا إلى 12 نوفمبر 1848، ثم نقل إلى قصر أمبواز جنوب غرب باريس حيث قضى أربعة أعوام.

وفي 26 أكتوبر 1852 أفرج به الرئيس الفرنسي لويس نابليون، فزار باريس وإسطنبول، وأقام في بورصة (جنوبي إسطنبول) قرابة ثلاثة أعوام، قبل أن يستقر بدمشق في ديسمبر 1855 وبها توفي يوم 22 ماي 1883 م.

وللأمير عبد القادر مواقف إنسانية خالدة من أبرزها: إطلاقه في إحدى المناسبات سراح عدد من الأسرى الفرنسيين لعدم تمكنه من اطعامهم، وإنقاذه أكثر من 12000 نصراي من الهلاك في حوادث سوريا سنة 1860. وله أربع مؤلفات أهمها: كتاب "الموقف" في التصوف في ثلاثة أجزاء.

ثانيا: دوافع مقاومة الأمير عبد القادر

● احتلال فرنسا عاصمة الجزائر وبعض المدن الساحلية الهامة، خاصة عاصمة الغرب وهران في 4 جانفي 1831

● انهاء السيادة العثمانية على الجزائر وسقوط الحكم التركي، واشتداد الحاجة إلى قيام سلطة جزائرية تقود الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين

● الغيرة الشديدة على الإسلام والوطن من عدوان وتدنيس المحتلين الظالمين، والحرص على صيانة أسس المجتمع الجزائري.

● انتشار الفوضى في المناطق الغربية، وحرص الأمير على توحيد القبائل وتنظيمها.

● تحلي المغرب والدولة العثمانية عن تحدة الجزائر في مواجهة العدوان، مما يتعين عليهما شرعا

ثالثا: المرحلة الأولى: 1832-1837

بدأت مراسم البيعة الأولى التي تمت "بوادي فربوحو" بسهل غريس عند شجرة الدردار وهي شجرة عظيمة كان القوم يجتمعون تحتها للشورى، وكان ذلك بتاريخ 13 رجب 1248 هـ الموافق لـ 28 نوفمبر 1832 م حيث بايعه القوم وفي مقدمتهم والده، وتلاه أقاربه ثم أشرف القوم ورؤساء القبائل والأعيان وبقية أفراد الشعب. وبدأت الوفود تتوالى لأداء واجب البيعة للأمير الشاب، وانعقد بذلك مجلس عام حضرته جماهير عريضة من أفراد الشعب يتقدمهم الأعيان والأشراف، وزعماء القبائل والعشائر وجرى فيه أداء البيعة الثانية العامة في 13 رمضان سنة 1248 هـ الموافق لـ 4 فبراير 1833 والتي يمكننا القول بشأنها أنها استفتاء شعبي حر اختار فيه القوم بكل حرية ومسؤولية الشخص المناسب الذي يتولى شؤون هذه الدولة.

أقام الأمير عبد القادر الإمارة على الفضل والعدل والنظام، وباشر الأعمال، وركب الأخطار، وضرب النقود من الفضة والنحاس، وأنشأ معامل الأسلحة واللباس، وجعل مدينة (معسكر) حاضرة إمارته. ووضع للدولة الفتية دستورا تضمن مجموعة القوانين التي نظمت الدولة.

عبأ الأمير جيوشه بشكل منظم، وعين رجال الدولة، وعين وزيره محمد العريبي، وكاتبه ابن عمه أحمد بن علي، ورتب مجلساً للشورى من أحد عشر عضواً، ورئيسهم قاضي القضاة أحمد بن الهاشمي. ولما رأّت فرنسا ذلك وقيامه بأمر الدين والجهاد والوطن هابته وحسبت له حساباً.

1- معاهدة دي ميشال:

وفي 29 فيفري 1834 عقد مع فرنسا معاهدة دي مشال اعترفت له فيها بمقاطعة وهران ما عدا مدينة وهران ومستغانم، وان يستورد السلاح من أي جهة أراد، وأن يعين معتمدين (قناصل) في وهران والجزائر ومستغانم وغيرها، نظم شأنه وقوي سلطانه وأصح أمير الجزائر الشرعي. تفرغ بعد ذلك لمقاومة الخارجين عليه، فقضي على فتنة ابن نونة في تلمسان، وامتد سلطانه على بعض البلاد المجاورة التي لم تكن داخلة ضمن حدوده وقت المعاهدة مثل المدية ومجانة، ورتب فيها الأسلحة بالرغم من احتجاج حاكم الجزائر العام.

ثم ما لبثت المعاهدة أن انتقضت حين انضمت إلى الحاكم الفرنسي قبيلتان جزائريتان هما الدوائر والزمالة، فطلب الأمير منه تسليم رؤسائهما إليه حسب شروط المعاهدة، فأبى الحاكم الجنرال تريزل، فأعلن الأمير القتال من جديد وانتصر على الفرنسيين في معركة المقطع 26 جويلية 1835.

2- معاهدة التافنة:

في 28 جوان 1836م، جهزت فرنسا حملة عسكرية كبيرة بقيادة المارشال كلوزيل، فاستولت على عاصمته معسكر، ولاقى الأمير مقاومة من الفرنسيين أمامه، ومن الأتراك خلفه في قلعة تلمسان، لكنه بقي ثابتا موفور القوة حتى اضطرت فرنسا إلى مصالحته من جديدة في معاهدة التافنة في 30 ماي 1837م، اعترفت له بموجبها بمقاطع وهران وقسم كبير من مقاطعة الجزائر.

رابعا: المرحلة الثانية: 1837-1847

1- التنظيمات الإدارية في دولة الأمير عبد القادر

بعد توقيعه معاهدة التافنة شرع الأمير بتوجيه سلطته على تلك البلاد التي دخلت حديثا تحت سلطانه، وكانت الأطراف جميعا راضية به ما عدا المرابط محمد التجاني الذي أبى الاعتراف بإمارته عليه، فتقدم إليه الأمير بجيشه وحاصره في قصر عين ماضي خمسة أشهر وفتحته رغم منعه واستعصاه على الأتراك طيلة حكمهم للجزائر.

نظم الأمير جيشه وفق الجيوش الحديثة، وقسمه الى مشاة وفرسان ومدفعية واستعان بضباط من التونسيين والفارين من الجيش الفرنسي والمجندين عند الأتراك. كما اختص بنظام في اللباس والمأكل والرواتب والتعليم والترقية، وأعد معامل السلاح ومخازن الأخيرة والمؤن، ورسم القلاع، ولم يغفل عن شيء مما يلزم لتأسيس الحكومات.

شملت دولة الأمير ثمانية أقاليم على رأس كل إقليم خليفة، نائبا عن الأمير. وكانت الأقاليم اربعة بين 1832 - 1837 فأصبحت ثمانية مند هذا التاريخ. أما الأربعة الأولى فهي إقليم الغرب أو تلمسان، وإقليم الشرق أو معسكر، وإقليم مليانة الذي شمل شرشال وتنس، وإقليم المدية أو التيطري سابقاً. وبعد معاهدة التافنة أضاف الأمير أربعة أقاليم أخرى هي: إقليم حمزة (اللي كان من قبل تحت نفوذ الحاج السعدي كمثل للأمير)، وإقليم مجانة الذي هدف الأمير من وراء إنشائه إلى إثبات شرعية نفوذه على إقليم قسنطينة القديم، ثم إقليم الأغواط وإقليم الزيبان (بسكرة).

وكان كل إقليم مقسماً إلى عدة نواحي على رأس كل ناحية آغا، وكل ناحية مقسمة إلى أعراش أو قبائل، على رأس كل منها قائد، وكل فرقة من القبيلة أو نسمة منها تحت نفوذ شيخ. وقد منح الأمير سلطات واسعة للخليفة، مثل جمع الضرائب وإقامة الحدود، وإجراء القضاء بين الناس، وحماية الأمن والمواطنين، ومحاربة العدو.

وكان تعيين الخلفاء غير محدود بمدة. وكان الخلفاء هم الذين ينقلون تعليمات وأوامر الأمير إلى الأغوات، وهؤلاء إلى القياد وهؤلاء إلى الشيوخ، وهكذا. وكان الأغوات والقياد يعينون من قبل الخليفة لمدة سنة، قابلة للتجديد. أما القياد فهم يعيشون في العادة من قبل الأغوات ولكن إذا كانوا على قبائل كبيرة فإن تعيينهم يأتي من الخليفة نفسه. وأما الشيوخ فمنصبهم انتخابي، إذ تنتخبهم فرقتهم او قسمتهم (دوارهم) بدون تدخل الدولة. والشيوخ يحولون شكاوى الناس إلى السلطات العليا بطريق السلم التصاعدي، وعندما تقوم الحرب ضد العدو يصبح أولئك المسؤولون قوادً عسكريين كل في دائرته.

2- حرب الإبادة:

شعر الفرنسيون بخطورة نشاطات الأمير على مستقبل وجودهم بالجزائر، خاصة بعدما دانت له بلاد القبائل ومناطق أخرى من شرق البلاد؛ حيث بدا وكأنه سيغدو قادرا على حصرهم داخل قسنطينة والجيوب الساحلية التي يحتلوها ومنعهم من ربط الاتصال بين قسنطينة والجزائر، وهو ما كانوا يتطلعون إليه من أجل ترسيخ احتلالهم. فاحتجوا لدى الأمير على توسعه نحو الشرق باعتباره حرقا لاتفاقية التافنة وصمموا على ابطائها وإيقاد نار الحرب ثانية.

وفي 12 ديسمبر 1839م نادي الأمر بالجهاد، وقامت الحرب أربع سنين بعدما ثبت فيها الأمير الثبات الذي خلد له الذكر، ثم تفوقت عليه القوات الفرنسية؛ متخذة من سياسة الأرض المحروقة وحرب الإبادة الجماعية أسلوبا لترهيب الجزائريين عن مواصلة المقاومة، وسقطت أكثر حصونه، وتم الاستيلاء على أكبر مدنه. وفر معظم انصاره، فأنحاز إلى المغرب لإقناع سلطانه ليدخل الحرب ضد الفرنسيين، فأجاب وكانت معركة إيسلي في 12 أوت 1844، والتي تفوق فيها الفرنسيون، وقاموا بقنبلة طنجة ومحاصرتها بالبوارج الحربية، واحتلوا وجدة، فاضطر السلطان مولاي عبد الرحمن إلى عقد معاهدة "لالة مغنية" في 18 مارس 1845 بشروط أملتها عليه كان أولها: عدم تمكين الأمير عبد القادر من اجتياز حدود الجزائر، فبقي في المغرب نحو سنتين، ينتظر ثغرة تمكنه من الدخول إلى الجزائر.

وبحلول سنة 1846م قامت ثورة بلاد القبائل، فالتحق بها الأمير عبد القادر واستعاد مركزه كما كان، فما لبث الفرنسيون أن أحاطوا به من كل جانب فاضطر إلى الانسحاب ثانية إلى المغرب، فطالبت به فرنسا سلطاتها وفق معاهدة لالة مغنية، فاضطر السلطان المغربي أن يجهز حملة على الأمير عبد القادر، الذي رأى نفسه محاصرا بين قوتين لا طاقة له بهما. وبعد استشارة أتباعه قرر أن يسلم نفسه إلى الفرنسيين في شهر ديسمبر سنة 1847.

بيبلوغرافيا مختارة:

1. أباطة نزار: الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت

..1996

2. الأميرة بديعة الجزائري: الأمير عبد القادر حياته وفكره، 3 أجزاء، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر 2012
3. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
4. تشرشل شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، تر: سعد الله أبو القاسم، الدار التونسية للنشر، تونس 1974.
5. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992
6. سعيدوني ناصر الدين: عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، الرياض 2000.
7. فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2002 .
8. ملاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر 2006.
9. Bellemare Alex.: Abd-El-Kader sa vie politique et militaire, Librairie de L. Hachette et C^{ie}, Paris 1863.

المحاضرة الثالثة

مقاومة أحمد باي

أولاً: التعريف بشخصية أحمد باي

ثانياً: مراحل مقاومة أحمد باي

المرحلة الأولى: 1830-1837

3. معركة قسنطينة الأولى 1836

4. معركة قسنطينة الثانية 1837

المرحلة الثانية: 1837-1849

ثالثاً: تقييم مقاومة أحمد باي

مقدمة

رأينا سابقاً كيف فشل الداوي حسين في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية ووقع معاهدة استسلام لقائد الحملة ديورمون يوم 5 جويلية 1830، معلناً بذلك نهاية العهد العثماني في الجزائر.

لكن الأمور لم تكن ممهدة للفرنسيين، فقد ظهر زعماء وقادة آخرون قاوموا توسع القوات الفرنسية في بقية مناطق الجزائر.

ويمكن تقسيم المقاومة التي واجهت الفرنسيين بعد احتلال مدينة الجزائر إلى ثلاثة أنواع: مقاومة سياسية قامت بها طبقة التجار والعلماء وأعيان المدن، وكانت هذه غالباً تتبع من المدن وتولاها حمدان بن عثمان خوجة وزملاؤه. مقاومة شعبية دينية قام بها مرابطون ورؤساء قبائل تحت راية الجهاد في سبيل الله والأرض والشرف والوطن، وتولاها مرابطون وزعماء أمثال بن زعمون والحاج سيدي السعدي والآغا محيي الدين ثم الأمير عبد القادر. أما النوع الثالث من المقاومة فهو ما قام به ممثلو الإدارة العثمانية، بعد سقوط الحكومة المركزية، دفاعاً عن المصالح الشخصية والألقاب العثمانية في سبيل الإسلام وذوداً عن التقاليد والأراضي الإسلامية. وقد تولى هذا النوع

من المقاومة باي التيطري مصطفى بومرزاق، وابنه سي أحمد، وإبراهيم باي قسنطينة السابق، والحاج أحمد الذي كان بايا قسنطينة عند دخول الفرنسيين مدينة الجزائر، وقاوم الفرنسيين خلال ثماني عشرة سنة وترك لنا سيرة مقاوم عنيد، وجندي كفء، وحاكم قدير.

فمن هو المقاوم احمد باي؟ وما هي مظاهر مقاومته للاستعمار الفرنسي؟

أولاً: التعريف بشخصية أحمد باي

يعتبر الحاج أحمد، باي قسنطينة الأخير، من ألمع وجوه المقاومة في الجزائر، ولد سنة 1786. وقد كان كرغلياً (من أب تركي وأم جزائرية) وكان يسمى باسم أمه، فيقال الحاج أحمد بن الحاجة شريفة؛ وهي من أسرة ابن قانة المعروفة في الصحراء. أبوه هو محمد الشريف خليفة حسن باي الذي تولى الحكم بعد صالح باي المتوفى سنة 1792. وأما جده فهو الباي أحمد القلي الذي حكم قسنطينة مدة ست عشرة سنة ابتداءها عام 1755. وولاه الداوي حسين بايا على قسنطينة سنة 1826.

وفي عام 1830 وبينما الحملة الفرنسية على وشك الوصول إلى سيدي فرج ذهب الحاج أحمد باي إلى مدينة الجزائر لتقديم الدنوش أو عوائد البايليك إلى الداوي حسين؛ الذي أخبره في رسالة سابقة بموضوع الحملة الفرنسية، وطلب منه أن يهتم بتحصين ميناء عنابة وطمأنه بعدم الخوف على مدينة الجزائر؛ ولهذا لم يصحب معه سوى 400 فارس بينهم أحمد المقراني.

وعندما وصل مدينة الجزائر، طلب منه الداوي أن يلتحق فوراً بسيدي فرج ليحضر الاجتماع الذي سيعقده هناك لتدبير وسائل المقاومة والدفاع ضد الحملة الفرنسية، فأتجه إلى هناك، والتقى بباي تيطري مصطفى بومرزاق والأغا إبراهيم صهر الداوي الذي أسندت إليه قيادة الجيوش. وخلال المداولة اختلف الحاج أحمد مع الأغا إبراهيم في كيفية تنظيم الدفاع.

ثانياً: مراحل مقاومة أحمد باي

المرحلة الأولى: 1830-1837

بعد معركة سطاوالي انسحب أحمد باي إلى وادي القلعة ثم إلى عين الرباط - مصطفى باشا حالياً، ثم تابع طريقه شرقاً في اتجاه قسنطينة، بينما انضم إليه أكثر من ألف وستمئة مقاتل من الفارين من وجه الجيش الفرنسي ومعهم بعض النساء. وعندما وصل إلى أولاد زيتون استلم رسالة من دوبرمون قائد الجيش الفرنسي يطالبه فيها بدفع اللزمة (الجزية) على نحو ما كان يدفعها إلى الباشا بعد أن تم توقيع معاهدة التسليم من قبل الداوي حسين. ووعد دوبرمون بالإبقاء عليه في منصبه بايا على قسنطينة. غير أن أحمد باي رد على ذلك بقوله: "إن مثل هذا الأمر يتطلب موافقة أهل الإقليم الذي يحكمه". ثم واصل سيره نحو قسنطينة التي وصل ضاحيتها الحامة بعد اثنين وعشرين يوماً.

بعد ذلك أصدر كلوزيل - خليفة دوبرمون - قراره بعزل أحمد باي، ووقع معاهدة مع تونس؛ يصبح بمقتضاها سي مصطفى أخو باي تونس في تلك الفترة بايا على قسنطينة خلفاً لأحمد باي. ورغم أن باريس على هذه المعاهدة، غير أن هدف المعاهدة قد تحقق بتصعيد الصراع بين قسنطينة وتونس؛ إذ عمل باي تونس بعد توقيع المعاهدة على إرسال الرسائل إلى إقليم قسنطينة داعياً الناس إلى الثورة ضد أحمد باي؛ متهماً إياه بالاستبداد والطغيان والخروج على طاعة السلطان، ومعلنناً انضمام قسنطينة إلى تونس. وتجنبت هذه الرسائل ولو مجرد الإشارة إلى الاتفاق مع كلوزيل.

وبهذا أصبح على الحاج أحمد باي أن يخوض الصراع على عدة جبهات: جبهة ضد فرنسا، وأخرى ضد تونس، وثالثة ضد إبراهيم الذي أعلن نفسه بايا على عنابة، وطالب بعودته إلى قسنطينة، ورابعة ضد باي تيطري الذي أعلن نفسه باشا الجزائر خلفاً للداوي حسين وطالب الحاج أحمد الاعتراف به، وخامسة ضد فرحات بن سعيد شيخ العرب الذي عزله أحمد باي وعين بدلاً منه خاله بوعزيز بن قانة، هذا بالإضافة إلى المؤامرات التي حيكت ضده داخل عاصمته قسنطينة.

اتخذ أحمد باي خطوة حاسمة بعد ذلك، إذ حمل لقب باشا وأمر بضرب السكة (النقود) باسمه وباسم السلطان العثماني. فانتزع المبادرة من باي تيطري مصطفى بومزراق، وأحبط مخطط باي تونس. كما بذل جهودا كبيرة للحصول على دعم عاجل من السلطان محمود، غير أن جهوده لم تنجح في تأمين المساعدات خلال الفترة التي كانت فيها قسنطينة أحوج ما تكون لهذه المساعدات. وعاد الوفد الذي أرسله لهذه الغاية وهو يحمل ردا غامضا من السلطان.

1- معركة قسنطينة الأولى 1836

علم الحاج أحمد بعد ذلك أن القيادة الفرنسية قد حشدت قواتها في عنابة للقيام بحملة كبيرة ضد قسنطينة مستفيدة من فصل الشتاء سنة 1836 م، فخرج بقواته من عاصمة الإقليم وسار بها مسافة نصف يوم، وأقام معسكره عند مكان يدعى وادي الكلاب. وكانت قواته تضم خمسة آلاف فارس و1500 من المشاة. وقد التقى الجيشان في (عقبة العشاري). فتظاهر أحمد باي بالتراجع عندما شاهد التفوق الكبير لقوات عدوه، غير أنه لم يتوقف عن الاشتباك بهم واستنزاف قدراتهم وتكبيدهم الخسائر حتى دخل قسنطينة. ونصب الفرنسيون مدافعهم على جبل المنصورة وسيدي مبروك الذي يشرف على المدينة وبدأوا في قصفها. كان الجيش الفرنسي بقيادة كلوزيل. وكان الثلج والمطر يهطلان بغزارة، وحاول الفرنسيون إرغام المدينة الباسلة على الاستسلام، غير أنهم فشلوا في محاولتهم، واضطروا إلى التراجع عنها وانطلق الحاج أحمد باي على رأس جيشه فطارد الفرنسيين حتى قالمة.

كان لهذا الانتصار وقع كبير في رفع الروح المعنوية للمجاهدين وأهالي قسنطينة، كما أدى إلى عزل كلوزيل واستدعائه إلى فرنسا. ورجع الحاج أحمد إلى المدينة بعد انتصاره الكبير، وبدأ على الفور بإعادة تحصينها والاستعداد للجولة التالية، إذ كان على ثقة بأنه لا بد للسلطات الفرنسية من إعادة المحاولة والانتقام لهزيمتها السابقة. وعلم (الحاج أحمد) بوجود فئة كانت ترغب في تسليم المدينة إلى الفرنسيين أثناء عملية القصف، فحكم على بعضهم بالإعدام. ثم أرسل إلى السلطان يعلمه بانتصار المسلمين ويطلب دعمه.

2- معركة قسنطينة الثانية 1837

كانت الإدارة الفرنسية في الجزائر قد عقدت في سنة 1837 معاهدة مع الأمير عبد القادر، وأصبح باستطاعتها تركيز ثقل قواتها للعمل ضد أحمد باي، وعندما فشلت مفاوضاتها معه، عرف أن المعركة مع الفرنسيين قد باتت وشيكة الوقوع، فأخذ في الاستعداد للقتال، وجمع شيوخ القبائل والقادة، وحشد خمسة آلاف فارس وألفين من المشاة من المتطوعين، بالإضافة إلى جيشه النظامي الذي كان يعمل تحت قيادته الشخصية، وترك في عاصمة الإقليم قسنطينة حامية صغيرة مكونة من 1500 مقاتل، وانطلق ببقية القوات لمحاربة الفرنسيين. فهاجمهم مدة ثلاثة أيام متواصلة في معسكرهم الواقع في مجاز عمار. ولكنه فشل في هذه المرة في صد زحفهم على المدينة. فقد تمكنوا من نصب الحصار عليها ثم دخلوها بينما كان المواطنون يحاربونهم من دار إلى دار، ومن شارع إلى شارع. وأثناء هذه الجولة قتل دامر يمون القائد العام للجيش الفرنسي فتولى مكانه الجنرال فالي- كما قتل (البجاوي) خليفة الحاج أحمد في (قسنطينة) وتكبد الحاج أحمد خسائر كبيرة وفقد أفضل جنده ومقاتليه.

وغنم الفرنسيون بعد استيلائهم على المدينة، مغنم كثيرة وأموالا ضخمة، ذلك لأن الحاج أحمد كان قد رفض إخلاء المدينة، كما رفض إخراج الثروات والكنوز الثمينة. عندما طلب ذلك منه أعيان المدينة حتى لا يؤثر ذلك على الروح المعنوية، وتأكيذا على التصميم في القتال حتى النهاية، وهو ما حدث فعلا. وخسر الفرنسيون بالمقابل قسما كبيرا من قواتهم هذا بالإضافة إلى تموينهم. وجاءت الضربة الحاسمة التي زادت من متاعب الحاج أحمد عندما تخلى عنه صديقه بن عيسى وساعده الايمن وعرض خدماته على الفرنسيين.

المرحلة الثانية: 1837-1849

على الرغم من الهزيمة التي نزلت بقوات أحمد باي، وعلى الرغم أيضا من ضياع ملكه وعاصمته، فقد صمم على متابعة الصراع المسلح، وعرضت عليه فرنسا الأمان، وتعهدت له بنقله إلى بلاد إسلامية. فرفض العرض الفرنسيين، ومضى يحمل السلاح وقد وضع مخططا جديدا لمقاومة

الفرنسيين يعتمد على تهديد خطوط مواصلات الفرنسيين بين عنابة وقسنطينة، وعزلهم. غير أن صهره ابن قانة اعترض على هذا المخطط، وأراد أن يحارب فرحات بن سعيد أولا، ثم الفرنسيين ثانيا. وهي الخطة التي عبر عنها الحاج أحمد بقوله: "الخطة التي فيها هلاكي".

غير أن أحمد باي لم يكن يستطيع مقاومة اعتراضات صهره ابن غانة بعد أن تضافرت جميع العوامل ضده: موت أو تخلي قاداته عنه، وخلافه مع صهره بوعزيز الذي التحق بالفرنسيين فعينوه في منصب شيخ العرب. وكذلك محاولة الأمير عبد القادر بسط نفوذه على إقليم قسنطينة، بتوجيه نداء إلى أعيانه، وتعيين خلفاء له فيه أمثال: حسن بن عزوز، وفرحات بن سعيد؛ الذي لم ينس عزله له حتى بعد سقوطه على أيدي الفرنسيين، هذا بالإضافة إلى جهود باي تونس المضادة له بسبب غيرته من الحاج أحمد والكيد له في وسط القبائل المجاورة ولدى السلطان، ثم فرنسا التي كانت ترى في وجوده بين العرب علامة خطر، فكانت تؤلب عليه القبائل، وتخلق له الصعوبات أينما حل وحيثما ارتحل. ويمكن أن يضاف إلى ذلك سلبية السلطان العثماني الذي كان أحمد باي يعتمد عليه حتى بعد سقوط قسنطينة.

وظل الحاج أحمد يقاوم كل هذه العوامل من سقوط قسنطينة سنة 1837، وحتى استسلامه سنة 1848؛ حيث كان ينتقل طوال هذه الفترة من قرية إلى قرية، ومن الجبل إلى السهل. وبينما كان في جبل أحمر خدو اتصلت به السلطات الفرنسية في باتنة وبسكرة وعرضت عليه الاستسلام، وإعادة كل أشيائه إليه وأخذه ليعيش في بلاد إسلامية. فقبل العرض بعد أن كبرت سنه ووهنت قواه. وذهب من بسكرة إلى باتنة في 5 جوان 1848م، ومنها إلى قسنطينة عاصمة ملكه القديم، التي عاد إليها مجردا من سلاحه، واستقبله أعيانها عند مدخلها، ودخل إليها وسطهم في كوكبة من الخيل.

وقد وضعته سلطات الاحتلال تحت الإقامة الجبرية، إلى أن وافته المنية في ظروف غامضة؛ حيث ترجح إحدى الروايات أنه تم تسميمه عام 1850.

ثالثا: تقييم مقاومة أحمد باي

لقد تضافرت عوامل عديدة أدت إلى فشل هذه المقاومة في صد الاحتلال الفرنسي منها:

- التنازع على السلطة بين بعض الطامحين في محيط أحمد باي، وتدخل الفرنسيين في هذا الصراع، أدى إلى ضعف جبهته الداخلية.
- أطماع باي تونس في إقليم قسنطينة.
- تمسك أحمد باي بالتبعية للدولة العثمانية؛ التي لم تستطع تقديم عون مادي ولا معنوي له بسبب ضعفها.
- عدم تمكن أحمد من الاتفاق مع الأمير عبد القادر لأنه كان يرى فيه دعيا أو منتحلا للسلطة.
- معاهدة التافنة سنة 1837م، واتصال الأمير عبد القادر بقبائل قسنطينة وإخطارهم أنه متفق مع الفرنسيين، أدى إلى سقوط قسنطينة، وتراجع مقاومة أحمد باي.

بيبلوغرافيا مختارة:

1. باي الحاج أحمد: مذكرات، تر وتح: الزبيري محمد العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.
2. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
3. خوجة حمدان بن عثمان: المرأة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
4. الزهار أحمد الشريف: مذكرات، تح: المدني أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.
5. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.

6. سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، طبعة خاصة ، عالم المعرفة ، الجزائر 2009 .

المحاضرة الرابعة

مقاومة بلاد القبائل: 1851 1857

أولاً: المحاولات الفرنسية الأولى لاحتلال بلاد القبائل:

ثانياً: دوافع احتلال المنطقة (أهميتها):

ثالثاً: موقف سكان بلاد القبائل من الاحتلال:

رابعاً: السياسة الفرنسية تجاه المنطقة (دوافع المقاومة):

خامساً: مراحل المقاومة:

المرحلة الأولى:

المرحلة الثانية:

4. مقاومة الشريف بوبغلة

5. مقاومة بوحمارة

6. مقاومة لالا فاطمة نسومر

أولاً: المحاولات الفرنسية الأولى لاحتلال بلاد القبائل:

تعود المحاولات الأولى الفرنسية لاحتلال منطقة القبائل إلى العقد الأول من الاحتلال حيث كانت البداية كعملية لجس النبض فقط لأنها كانت منشغلة بثورة الأمير عبد القادر في الغرب وبثورة الحاج أحمد باي في الشرق ولكن مع ذلك عملت منذ وقت مبكر على فتح بعض المراكز الأولى التي احتلها الاستعمار الفرنسي في بلاد القبائل هي دلس، بجاية، بني منصور وذراع الميزان فيما بعد وهكذا أحاطوها من الشرق و الغرب والجنوب باحتلال سور الغزلان بمراكز عسكرية كما قاموا بفصل بعض القبائل التي كانت لها علاقة مع السلطات التركية وهذه القبائل وبسبب مجاورتها للسهول واختلاف أصولها ضعف بينهما كره السلطة الفرنسية وهكذا بعد احتلال دلس وإقامة سور الغزلان وإقامة حكم يحيط بجزيرة أصبح لدى الفرنسيين مركز انطلاق لسلطتهم ومن هذه القواعد المذكورة انطلق الاستعمار لیتم احتلال المناطق الجبلية الداخلية، وقد كانت

الاتصالات الأولى ببلاد القبائل تتمثل في احتلال بجاية عام 1833م هذا بالنسبة للجهة الشرقية، أما الجهة الغربية فقد اجتازت فرقة عسكرية بقيادة العقيد شونبورغ في ماي 1837م مضيق بني عائشة (ثنية) وتمكن من السيطرة عليها ومن الجهة الجنوبية فلم يكن الاتصال مباشر كما كان في الشرق، إذ نجد أنه وفقاً لاتفاقية "تافنة" بين الأمير عبد القادر والسلطات الفرنسية دخلت بلاد جرجرة تحت حكم الأمير وكانت السلطات الفرنسي ترى أنه من المهم أن تحصل على طريق يصل بين الجزائر وقسنطينة، والأمير عبد القادر لم يكن ليرضى بذلك كما كان من المقرر أن تتحرك قوة فرنسية من ميله في إقليم قسنطينة مارة بمضيق (باب الحديد) عابرة المنطقة المتنازع عليها متقدمة منها إلى مدينة الجزائر وأحيطت هذه الخطة بكل السرية الضرورية للمناورة في الحرب، وبدأ التحرك نحو بجاية فأسرع القبائل للدفاع عنها وغادرت قوة عسكرية في 1839م ميله وعند وصولهم إلى سطيف قابلهم شيوخ القبائل فاستظهروا لهم جوازات سفر تحمل ختم الأمير عبد القادر وتسمح للقوات الفرنسية بالمرور فرضي الشيوخ بذلك، ولكن كانت هذه الجوازات مزورة وختم الأمير مزورا مما مكنهم بمد يديهم عليها.

ثانياً: دوافع احتلال المنطقة (أهميتها):

تكمن مكانة المنطقة في أهميتها الإستراتيجية والاقتصادية فهي من جهة توجد في طريق قسنطينة ولكي يضمن الفرنسيون طريقهم إليها كان عليهم إقامة مراكز عسكرية تمهيدا لذلك ومن جهة أخرى فهي متصلة بالبحر ومن هنا فهي متصلة مع الخارج وكانت فرنسا متخوفة من طرف منافسيها باحتلال هذه المنطقة.

أما من الناحية الاقتصادية فهي منطقة غنية بالخيرات الزراعية كما أنها ستكون سوقاً مهماً لاستهلاك البضاعة الفرنسية.

ثالثاً: موقف سكان بلاد القبائل من الاحتلال:

بمجرد نزول القوات الفرنسية في الجزائر لاحتلالها، حدثت ردود فعل عظيمة وسط الأهالي وهينوا أنفسهم للمقاومة، وقد أرسل الداوي حسين رسالة إلى مختلف الجهات ومنها بلاد القبائل يوضح فيها خطر هذه الحملة على البلاد ووضح لهم كذلك أن الدين الإسلامي يحتم عليهم القيام بالتصدي للحملة.

وبعد الوصول هذه الرسالة إلى المنطقة أرسل زعماءهم والأشراف منهم إلى مختلف القبائل التي كانت في حروب فيما بينها يطلبون منهم وقف الحرب وإحلال السلم وفي حالة ما إذا رفضت إحداها هذه الهدنة تجبرها القبائل الأخرى على ذلك، وبهذه الوسيلة عرفت كل البلاد هدنة ووجهت كل الجهود لتحضير القوات لكي تشارك في المقاومة، أما من حيث التحضير لهذه الحرب فكل واحد مسؤول عن نفسه وعليه أن يحضر ما يلزمه من السلاح والذخيرة والمؤونة وإن لم يستطع جسميا فعليه المشاركة ماديا، وبالفعل اجتمع كلهم في يوم محدد وانطلقوا جميعا في اتجاه العاصمة، وكانت كل قبيلة أو قبيلتين تسير تحت قيادة زعيم وقد قدروا حوالي 25 ألف رجل، وعند وصولهم استقبلهم الداوي حسين بكل حفاوة ووزع عليهم الأسلحة وتمركزوا في نواحي الحراش، ثم انتقلوا إلى سطاوالي وشاركوا في معارك دارت هناك وأبلوا بلاء حسنا ومن أشهرهم الحاج محمد بن زعموم، واستمرت الأمور هكذا إلى غاية 1842م عندما تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ مقاومة القبائل.

رابعا: السياسة الفرنسية تجاه المنطقة (دوافع المقاومة):

-الاستيلاء على كل الأراضي السهلية المجاورة وكذلك على المدن المهمة الموجودة على شاطئ البحر كدلس، بجاية.

-إقامة مراكز عسكرية لحماية هذه المناطق كمركز دلس وبرج منايل وتيزي وزو وبعد أن أحاطت المنطقة بمثل هذه المراكز تحكمت في الطرق المؤدية لجميع أنحاء القطر، كما بدأت تمارس من حين لآخر حصادات اقتصادية على السكان، إذ ينزل هؤلاء إلى الأسواق ويبادلون ما ينتجونه من السلع بما يأتي من المناطق الأخرى التي تنتج أشياء أخرى تفتقر لها البلاد كالمواشي والحبوب

والصوف، وفي إطار هذا الحصار الاقتصادي كانت تسمح للسكان بالنزول إلى أراضيهم في موسم الحرت والزرع وعندما يحل محل موسم الحصاد ترسل قواتها لتقوم بتلك العملية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد كانوا ينشرون في كل مكان يمرون به الدمار والخراب، فيقطعون الأشجار ويحرقون الزرع ويهدمون البيوت والقرى أو يحرقونها وذلك في كل مواجهة بينهم وبين السكان وخصوصا إذا انتهت لصالح الأراضي، وفي فترة قصيرة تمكنت القوات الفرنسية من تخريب البلاد من جميع النواحي، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. بالإضافة إلى هذه الدوافع كان هناك عامل أكثر أهمية في المقاومة وهو العامل الديني نظرا لكون الغازي يدين بديانة غير إسلامية وضرورة طرد هؤلاء الكفار من البلاد الإسلامية الذين هم أجنب عنها، سواء من حيث الدين أو اللغة أو العادات.

خامسا: مراحل المقاومة:

مرت المقاومة في جرجرة بمرحلتين أساسيتين قادها كل من الشريف بوبغلة و بوحمارة وفاطمة انسومر .

المرحلة الأولى:

تمت على عهد المارشال بيجو 1842-1847 و انتهت باحتلال يسر ودلس و برج منايل وكذا بداية تطلع فرنسا لأهمية المنطقة من الناحية الاقتصادية يمكن أن نستشف ذلك من التقرير الذي قدمه بيجو للحكومة الفرنسية حيث جاء فيه: " ستكون هذه المنطقة بلا شك ثمرة الحملة، فهي فضلا عن كونها آهلة بالسكان أكثر من غيرها تمثل قوة مستهلكة لمنتوجاتنا، إذ بإمكانهم أن يقدموا لنا مقابلها كمية كبيرة من الزيت و الثمار الجافة...".

المرحلة الثانية:

تمتد ما بين 1851-1857 وهي أهم مرحلة في مقاومة جرجرة لما تميزت به من أحداث وتضحيات جسام، حيث شهدت جرجرة سلسلة من المقاومات تحت شعار "الله أكبر"، منها مقاومة الشريف بوبغلة، مقاومة بوحمارة ثم مقاومة لالة فاطمة انسومر أين لقي الاستعمار الفرنسي

مقاومة شديدة و عنيفة حالت دون توسعه بالسرعة والكيفية التي خطط لها. رغم مشاركة كبار الجنرالات والماريشالات من أمثال مكماهون ورائدون وزير الحربية الذي قدم تقريرا الى امبارطور فرنسا لويس نابليون يحضه على احتلال منطقة القبائل:

"منذ مدة وانظار الحكومة مصوبة الى الجبال التي تحد الساحل بين دلس و سكيكدة فقد بقي هذا الجزء من البلاد خارج سلطتنا في حين ان الجزائر كلها من حدود تونس الى حدود المغرب و من البحر المتوسط الى الحدود الجنوبية للصحراء الجزائرية قد اعترفت بهيمنتنا مجموعة الجبال المعروفة و على الاخص باسم بلاد القبائل التي يسكنها رجال شرسون مسلحون و منظمون للمقاومة بشكل افضل من العرب"

1- مقاومة الشريف بوبغلة

قام بوبغلة في هذه المرحلة ببعض الاستعدادات منها:

- تحديد الأهداف الرئيسية التي يجب ضربها في البداية كالشخصيات الموالية للاستعمار مثلا أو ضباط فرنسيين أو مراكز عسكرية.
- تحديد المناطق الاستراتيجية التي يمكن الالتجاء إليها إذا اقتضت الضرورة.
- تحريض وتعبئة مختلف القبائل للانضمام إليه.

بعد أن استكمل جميع الاستعدادات أعلن المقاومة، بالهجوم على عزيز بن علي شريف وهو صاحب زاوية شلاطة قرب أقبو، حدث ذلك يوم 10 مارس 1851 أحد المتعاونين مع فرنسا مما أثار القلق و الارتباك في صفوف القوات الفرنسية المرابطة في سور الغزلان، و كرد فعل قررت السلطات الاستعمارية إقامة مركز عسكري ببني منصور بقيادة الكولونيل "بوبريتر"، وجاء في بعض التقارير التي قدمها العقيد دوريل كيف أن ابن علي شريف حمل السلطات الفرنسية مسؤولية ما حدث إذ أنها لم تستطع حمايته. لم يقف طموح الشريف بوبغلة عند هذا الانتصار، بل رأى من الواجب القضاء على ابن علي شريف، و لأجل ذلك دعا إلى عقد اجتماع مع بني يجار ويلولة و زاوية ابن إدريس لتدارس الوضع، و الواقع أنه كان يتوخى كسب مناصرين جدد في يلولة أوسامر.

تقرر في الاجتماع معاودة الهجوم على ابن علي شريف في شلاطة، مما أدى إلى وقوع مواجهات خلفت 10 قتلى من أصحابه، وهو ما اضطره على الانسحاب نحو قرية "إيبوزيدين" ببني مليكيش . و نظرا لخطورة حركته، جنّدت السلطات الفرنسية قوات معتبرة تحت أوامر ضباط و جنرالات أمثال، دوريل، بلانجي، بويريتر، بوسكي دوبروتال، كامو. وبعد الهزيمة التي تلقاها أثناء هجومه على شلاطة، أعاد تنظيم قواته فهاجم عدة مراكز فرنسية متخذًا من قرية بني مليكيش مركزا لنشاطه و هجماته، لكن رغم الانتصارات التي حققها هنا و هناك، أجبر على مغادرة الجهة الجنوبية من جبال جرجرة ،فتنقل إلى الواجهة المقابلة ،و استقرّ عند بني صدقاء القاطنين شمال منطقة جرجرة و هناك أخذ بوبغلة يحرض السكان على المقاومة ،واستطاع أن يكسب انضمام قبائل معاتقة و بني منداس و قشتولة ، بني كوفي ومشتراس و بني بوغردان و بني اسماعيل وفريقات. في 18 أوت 1851، تمكن بوبغلة من إلحاق الهزيمة بالجيش الفرنسي و قائده النقيب "بيشو" في معركة قرب بوغني. ردّت عليها السلطات الاستعمارية بحملة قادها الجنرال "بيليسي" دامت شهرا كاملا أخضعت خلالها بعض قبائل المنطقة كقبيلة بني كوفي و بوغني و بني منداس .ونتيجة ذلك قرر بوبغلة العودة إلى بني مليكيش لكسب مناصرين جدد ،لتخفيف الحصار على بعض المداشر، فنقل نشاطه إلى الجهة الساحلية ، على رأس بعض القبائل الثائرة في ناحية بجاية، و ما كادت تنقضي سنة 1851 حتى لبت نداءه معظم قبائل الجهة، وهو ما جعل فرنسا تدرك صعوبة المهمة التي تنتظرها . ففي يوم 25 جانفي 1852 وقعت المواجهة مع القوات الفرنسية إثر الحملة التي نظّمها " بوسكي" شارك فيها نحو 3000 عنصر من المشاة الفرنسيين. ألحقت خسائر في صفوف الشريف بوبغلة ،و فتحت الطريق بين القصر و بجاية وهو الطريق نفسه الذي يربط المنطقة بالجزائر العاصمة .

استمر بوبغلة ينتقل من قرية إلى أخرى يحاول جمع الأنصار والأتباع ، إلى أن اصطدم بقوات بوبريط عند منطقة الواضية يوم 19 جوان 1852 أصيب أثناءها بجروح في رأسه ،و مع ذلك واصل أتباعه المقاومة بقيادة بعض مقريه أمثال محمد بن مسعود من ونوغة و أحمد بن بوزيد من عائلة بورنان التي تنتمي إلى عائلة أولاد مقران .

خلال هذه السنة تمكن الشريف بوبغلة من تجدييد المقاومة، وقد تهيأت له الظروف عندما قامت السلطات الفرنسية بإرسال جيوشها إلى حرب القرم، فخاطب السكان قائلا: "إن المناسبة قد حانت لطرد فرنسا من الجزائر لأنها أصبحت ضعيفة جدا ولا يتطلب الأمر منهم إلا مجهودا بسيطا ليلقوا بها في البحر الذي جاءت عن طريقه". على أن المنطقة طوال كل هذه الفترة بقيت تعيش جوا من الغليان، مما أدى بالحاكم العام الفرنسي إلى إرسال حملة بقيادة النقيب وولف. وبتواطؤ مع الباشاغا أوقاسي، أقدمت القوات الفرنسية على مهاجمة عزازقة، وذكر وولف في تقريره عن المعركة، مدى استماتة سكان عزازقة في الدفاع عن ديارهم. قررت السلطات الفرنسية القيام بحملة عسكرية أخرى قادها الجنرال راندون ففي رسالة لهذا الأخير مؤرخة في 26 ماي 1854 أوضح فيها الأهداف من الحملة قائلا: "إن هدي الأول هو ضرب قبيلة بني جناد التي قدمت العون في هذه المدة الأخيرة للشريف بوبغلة الذي ينبغي أن يعاقب، و يكون عقابه درسا للآخرين، وبعد ذلك أوجه جهودي إلى القبائل الأخرى التي تقع على الضفة اليمنى لسباو... الخ" ويبدو واضحا أن الهدف من الحملة هو إخضاع منطقة جرجرة، وقبيلة بني جناد تحديدا، و لهذا الغرض بالذات استقدم قوات إضافية من وهران و الجزائر بقيادة الجنرال كامو و من قسنطينة بقيادة الجنرال ماكماهون. كانت قرية اعزيب الموقع الذي يحتمل أن تجري فيه المعركة، لذا تقرر تحديدها هدفا أولا لضربات الجيش الفرنسي. ورغم ما تتمتع به من تحصين دفاعي من حيث وقوعها على مرتفع، أو من حيث الاستعدادات التي أقامها أهلها للدفاع عنها، إلا أنها لم تصمد أمام القوات الفرنسية التي أحكمت السيطرة عليها. وفرضت على بني جناد غرامات مالية لوقوفها إلى جانب بوبغلة. وبعد غريب عسكرة الحملة في بوبهير وهي نقطة قريبة من الأعراس الثلاثة: بني يجار وبني يتوراغ وبني يحي على أن هدف الجنرال راندون كان الوصول إلى بني يحي، وعليه دبر خطة أوهم بها قبائل المنطقة رغبته في الاتجاه إلى بني يجار الذين هيأوا أنفسهم لصد حملته. والواقع أن الحملة اتجهت إلى بني يحي خلال هذه المرحلة وقعت مواجهات بين المقاومين والقوات الفرنسية دامت 40 يوما خلفت خسائر بشرية قدرتها المصادر الفرنسية ب 94 قتيلًا و593 جريحًا في صفوف الفرنسيين دون أن تشير إلى خسائر الطرف الجزائري. وقتها كان بوبغلة جريحًا في زاوية سي العربي شريف وقد نصحه بنو جناد بمغادرة المنطقة. وبالفعل انتقل بوبغلة إلى بني يجار ومنها

إلى يلو لا أومالو ثم إلى بني بني، ولاحقا إلى بني مليكش حيث عاود نشاطه من هناك دون أن يدوم الأمر طويلا، حيث كان ينتظره قدر الاستشهاد في 26 ديسمبر 1854.

2- مقاومة بوحمارة

لم تتوقف المقاومة في منطقة جرجرة باستشهاد الشريف محمد الأجد المدعو بوبغلة بل تواصلت بقيادة الشريف المختار بن قويدر التطراوي المدعو بوحمارة. قاوم أبوه في منطقة جرجرة إلى جانب الشريف بوبغلة، وأصبح خليفة له بعد وفاة هذا الأخير، لكن حالته الصحية منعت من مواصلة الكفاح والمقاومة، فولى ابنه المختار مكانه وقدمه للناس كزعيم. أطلق عليه اسم بوحمارة لأنه اتخذ لنفسه دابة يركبها في تنقلاته، استعان ببودواني وأرزقي بورنان إلى جانب أبيه الذي كان العقل المدبر والمخطط لكل أعماله. في أول الأمر لم يلق بوحمارة أي تشجيع أو ترحيب من شيوخ المنطقة الذين استقبلوه ببرودة وفتور، مما فرض عليه التنقل بحثا عن الأنصار والمساعدين. فاتجه إلى بني فرواسن وبني شعيب واتصل بلالة فاطمة انسومر بقرية ورجة، ثم انتقل إلى بني مليكش التي كانت في كثير من المرات حصنا منيعا يأوي الثوار ومركزا للمقاومة. أخذت مقاومة بوحمارة تنتشر وتمتد، رغم الصعاب التي اعترضته، خاصة بعد قيام السلطات الفرنسية بتشديد المراقبة على الأهالي للقضاء على المقاومة في هذه المنطقة، فمنعت التنقل بدون رخصة بين بني منقلات وبني بوسيف، رغم ذلك استطاع كسب تأييد بعض الذين كانوا يعارضون حركته أول الأمر كالشيخ أوعراب في بني راثن. ورغم قصر عمر حركته، إلا أنه قاد عدة هجومات منها هجوم 31 أوت 1855 على بعض المخبرين الفرنسيين وأعوانهم في قرية جمعة الصهريج وضواحيها والمقلع قتل وجرح فيه الكثير من الطرفين.

وتشاء الظروف أن تكون نهاية بوحمارة على يد أحد خصومه الذي سلمه إلى الكولونيل بوبريط الذي أمر بقطع رأسه أمام الناس يوم 29 ديسمبر 1855 بقصد ترهيب السكان. وباستشهاد طويت مرحلة أخرى من مراحل المقاومة في منطقة جرجرة

3- مقاومة لالا فاطمة نسومر

واصل أهل زواوة ثورتهم بين 1855 - 1857 بقيادة جديدة، قيادة امرأة مرابطة لا قيادة رجل شريف. ولم تكن لالا فاطمة امرأة كالنساء العاديات، ولكنها كانت تمتاز بخصائص لا توجد إلا في النوادر منهنّ فهي امرأة تمتاز بالأدب والجمال والذكاء. وهي بنت حسب ودين. ولدت حوالي 1830 لأبيها الشيخ الطيب الذي كان يسهر على زاوية ورجة الرحمانية. وكان لها أربعة أخوة، أشهرهم وأكبرهم سي الطاهر وبعد طفولة قضتها في العمل المنزلي وفي التعلم تزوجت وهي بنت ست عشرة سنة زواجاً غير ناجح فعادت إلى بيت أهلها ولكن زوجها أبقاها في عصمته ولم يسرحها بإحسان. ولا شك ان ذلك كان حديث النسوة، خصوصاً ان خطابها الذين طلبوا يدها كانوا يلقون نفس الجواب، ومنهم على ما قيل، الشريف محمد الهاشمي والشريف بوبغلة. ولعلها هي قد وجدت العزاء عن الحياة الزوجية في العمل على رأس زاوية ورجة عازمة أن تجعل منها مركزاً قوياً للزيارات والعوائد والجهاد. ولعل شيخها الحاج عمر الذي كان على رأس الطريقة الرحمانية الأصلية، كان يشجعها على ذلك وقد لاحظ فيها الطموح البارز والشخصية القوية.

لم تكن لالة فاطمة أنسومر غافلة عما يجري حولها من تطورات في المنطقة، حيث كانت على علم بتحركات القوات الفرنسية في تيزي وزو بين عامي 1845 - 1846 ومنطقة دلس عام 1847، وعندما شن الجيش الفرنسي حملة على المنطقة أظهرت شجاعة كبيرة. أنقذت بوبغلة المتواجد في قرية سومر بعد المواجهة الأولى التي وقعت له في قرية "تروتس" بين قوات الجنرال "ميسيات" و الأهالي ، إلا أن هؤلاء تراجعوا بعد مقاومة عنيفة ، نتيجة عدم تكافؤ القوى من حيث العدة و العدد ، وكان على هذا الجنرال أن يجتاز نقطتين صعبتين ، هما : شكيرت و ثيري بويران ،وقد شارك بوبغلة في هذه المعركة و جرح فيها فأنقذته لالة فاطمة ووقفت إلى جانبه وبقيا في بني بني يحرضان على الجهاد، وشاركته في أغلب المعارك التي خاضها منها معركة وادي سباو بتاريخ 7 أبريل 1854 ضد القوات الفرنسية بقيادة الجنرال وولف، حيث أظهرت فاطمة نسومر شجاعة فائقة، حققت انتصارات أخرى ضد العدو بنواحي (إبلتي وتحليجت ناث وبورجة و توريتت موسى و تيزي بواير)، وبرهنت على أن قيادة المقاومة الجزائرية لم يختص بها الرجال فقط بل شاركت فيها النساء بما أوتين من قوة وعند وفاة الشريف بوبغلة لم تتوقف بل

واصلت المقاومة وخاضت عدة معارك ضد القوات الفرنسية، أهمها معركة إيشريضن التي وقعت في 24 جوان 1857 في الأربعاء ناث إيراثن غير أن عدم تكافؤ القوى أدى إلى انهزام الثوار فانسحبت نحو جبال جرجرة وتحصنت بها وكونت فرقا سريعة من المجاهدين يتبعون مؤخرات الجيش الفرنسي و يقطعون عليهم طرق المواصلات و الإمدادات .

ونتيجة للهجمات المتواصلة للمجاهدة وتعاضم شأنها، تخوفت السلطات الفرنسية من ازدياد خطرهما، فجهزت لها جيشا يقوده الماريشال راندون اتجه صوب قرية " أيت تسورغ " و " اشريضن " أين تتمركز فاطمة نسومر رفقة 7000 رجل وعدد من النساء. وقد التقى الفريقان بتاريخ 11 جويلية 1857 ولكن رغم المقاومة الشديدة التي أبداها الثوار، إلا أنّ الكفة رجحت لصالح الفرنسيين نتيجة عدم تكافؤ القوى. انتهت المعركة بمقتل 44 جنديا فرنسيا من بينهم ضابطان و327 جريحا منهم 22 برتبة ضابط وبعد مفاوضات توقف القتال بأربعة شروط منها:

- إعادة انتشار القوات الفرنسية خارج القرى والتجمعات السكانية.
- عدم دفع الضرائب.
- عدم متابعة ومعاقبة قادة المقاومة.
- حماية الأشخاص والممتلكات.
- قاد المفاوضات عن الجانب الفرنسي الماريشال راندون، وعن الجانب الجزائري سي الطاهر. وقد تظاهر الماريشال راندون بقبول شروطها إلا أنه أمر بإلقاء القبض على الوفد الجزائري بمجرد خروجه من المعسكر. ولم يكتف بذلك بل أرسل النقيب فوشو إلى قرية ثخليجث ناث عتسو لالقاء القبض لالة فاطمة انسومر فأسرها هي وعدد من النسوة. وتفيد المصادر أن الجيش الفرنسي اثر هذه المعركة صادر العديد من الممتلكات، ونهب حلي النساء و50 بندقية و أكثر من 150 مجلدا من الكتب العلمية والدينية.

وقد أبعدت لالة فاطمة إلى زاوية بني سليمان قرب تابلاط تحت مراقبة الباشاغا الطاهر بن محي الدين، وبقيت هناك ست سنوات إلى أن وافتها المنية في سبتمبر عام 1863 عن عمر يناهز 33 سنة.

بيبلوغرافيا مختارة:

1. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
2. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
3. سي يوسف محمد: مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي، دار الأمر للطباعة والنشر، تيزي وزو 2000.
4. عمراوي حميدة وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009.
5. فرح محمد الصغير: تاريخ تيزي وزو، تغريب زمولي، منشورات ثلاثة، الجزائر، 2007.
6. فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2002.
7. قرقوة إدريس: لالة فاطمة نسومر، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2013.
8. مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل، ج1، دار سنجاك الدين للكتاب 2010.
9. ملاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر 2006.
10. منورة العربي: تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، 2007، الجزائر.
11. مياسي إبراهيم: لمحات من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، الجزائر.

المحاضرة الخامسة

ثورة الزعاطشة

أولاً: أسباب الثورة

ثانياً: مراحل ثورة الزعاطشة

3. المرحلة الأولى " مرحلة انتصار الثورة ":

4. المرحلة الثانية " مرحلة حصار الزعاطشة ":

ثالثاً: نتائج ثورة الزعاطشة

مقدمة

تعدّ ثورة الزعاطشة من الثورات الشعبية البارزة وهي بمثابة حلقة مضيئة من سلسلة بطولات الشعب الجزائري الذي جاهد لطرده الغاصب المحتل إذن: ما هي أسباب ثورة الزعاطشة؟ وكيف واجه سكانها الاحتلال الفرنسي؟ وما هي نتائجها؟

أولاً: أسباب الثورة

لقد حاول المؤرخون الفرنسيون أن يرجعوا أسباب اندلاع ثورة الزعاطشة إلى رفض فرنسا لطلب بوزيان والمتمثل في تجنيده كمرتزق في جيشها، وإلى بعض الأسباب الاقتصادية كمحاولة منهم للحط من قيمة الثورة بسبب ضعف أسبابها، ولكن الحقيقة غير ذلك لأنّ هذه الثورة اندلعت بوجود عدّة دوافع جوهرية ساهمت في إشعال فتيل الثورة وهي:

* رفض أهل الواحة القاطع للاحتلال الفرنسي وصدى الثورة الفرنسية لسنة 1848 م وعزل الملك الفرنسي " لويس فيليب " والإطاحة بنظامه وقيام الجمهورية الفرنسية، كل ذلك أثر على الحياة السياسية للجزائر، وقد انتشرت أخبارا مفادها أنّ بريطانيا قد أعلنت الحرب على فرنسا فأشاعوا هذه الأنباء المثيرة والتي فهمها أهل الزعاطشة على أنّ ساعة الخلاص والتحرر قد حانت فرفعوا لواء الثورة والجهاد. وكانت للظروف العسكرية التي عاشتها مقاطعة قسنطينة الدور الهام في

تهيئة الفرص المواتية للشيخ بوزيان - زعيم ثورة الزعاطشة- لإعلان الجهاد... ذلك أنّ جيوش المقاطعة قد جهّزت لقمع الانتفاضات. وأمل الشيخ بوزيان في مواصلة الثورة التي قادها الأمير عبد القادر طيلة سبعة عشر عاما ذلك أنّه كان تابعا لدولة الأمير.

* لا شك أنّ للدّافع الاقتصادي الدور الهام في إشعال هذه الثورة، حيث ارتفعت الضرائب على النخيل ابتداءً من شهر مارس 1849م ن 0.25 فرنك إلى 0.40 فرنك للنخلة الواحدة، والملاحظة أنّ هذا الارتفاع في الضرائب المبالغ فيه أدّى إلى تبرّم السكان، كما ألغت السلطات الفرنسية جميع الامتيازات القديمة للمرابطين والقاضية بإعفائهم من الضرائب ومن بينهم الشيخ بوزيان نفسه الذي استغل هذا الوضع في إثارة الأهالي ضدّ الاحتلال.

لرفض سكان الواحة المبالغ الطائلة، وبما أنّ الشيخ بوزيان قد أتمّ استعدادة للمقاومة لأنّه كان أحد الذين لم يتقبلوا فكرة وضع السلاح اعتقادا منه أنّ الجهاد فريضة حتى الاستشهاد.

* رفع الضريبة الخاصة بالنخيل إلى 60 سنتيما للنخلة الواحدة بعد أن كانت 45 سنتيما، أي بزيادة قدرها 30 بالمائة وهي نسبة كبيرة جدا.

* استحوذ فرنسا على الأحباس ومحاوله السيطرة على رجال الدين.

* كانت للظروف العسكرية التي عاشتها مقاطعة قسنطينة الدور الهام في تهيئة الفرص المواتية، ذلك أنّ جيوش المقاطعة قد جهّزت لقمع الانتفاضات المشتعلة هنا وهناك في كل من الزواغة وبنى مليكش بجبل جرجرة ومقاطعة أولاد دراج بالحضنة وأولاد فرج ببوسعادة، وغيرها وقد أدّى كل ذلك إلى تناقص عدد القوات المرابطة بمركزي باتنة وبسكرة بالإضافة إلى غياب قائدهم " سان جرمان" عن دائرة بسكرة.

شغل منصب شيخ واحة الزعاطشة ضمن موظفي إدارة الأمير بالمنطقة.

ورغم استعمال العدو لكل وسائل البطش من أجل معاقبة الثوار والمجاهدين وذويهم ليكونوا عبرة للآخرين مثل الإعدام والتعذيب والمصادرة والإتلاف والحرق، وفي أحيان أخرى استعمال

الترويض والتدجين وشراء الذمم فإنّ شعلة الثورة لم تخمد بل استمرّت مرفوعة يسلمها كلّ تائر إلى خلفه لذلك فإنّ الشيخ بوزيان قد أخذ المشعل عن الأمير عبد القادر لمواصلة الكفاح في سبيل الله والوطن.

* انتشار الروح الدينية والمقاومة للحفاظ على كيان الشعب العربي المسلم في الجزائر.

* زحف الجراد سنة 1845 م الذي أطلق عليه ربح الصحراء، كما شهدت منطقة الزاب سنة 1847 م موجة من الجفاف دامت ما يقارب 3 سنوات ممّا أدى إلى عجز الفلاحين عن إنتاج قوت يومهم، ومع هذا لم تتوان السلطات الفرنسية على الزيادة في الضرائب. وحسب " أبو القاسم سعد الله " أنّه رغم وضوح الدوافع الدينية والوطنية للثورة فإنّ بعض الكتاب أصروا على وجود دافع اقتصادي لهذه الثورة، ومن جهة أخرى يذكرون أنّ هناك تنسيقا في الجهاد بين المرابطين (الشيخ بوزيان، الشيخ المختار، الشيخ ابن شبيبة، الشيخ عبد الحفيظ...)، وبين أنصار وحلفاء الأمير السابقين وعلى رأسهم محمد الصغير (بن الحاج) " وهو لا يستبعد أن يكون العاطل الاقتصادي دافع من دوافع الثورة، ولكنه ليس الأساسي في نظره، لأنّ الفرنسيين أنفسهم يشهدون بأنّ الجزائريين لم يثوروا ضدّهم بدافع الجوع، ولكن لأسباب أخرى أهمّها الدين والشرف والوطنية من الأسباب الأساسية.

* السياسة التي طبقتها فرنسا بعد احتلالها للمنطقة وخاصة سياسة مصادرة الأراضي التي اتبعتها حيث أنّها أصدرت العديد من القرارات في هذا الشأن أهمّها:

- مرسوم 1844 م القاضي ببطان شراء الأراضي وتحديد البنود المتعلقة ببيع وشراء الأراضي بين الأوروبيين والجزائريين.

- قرار 32 أكتوبر 1845 م الذي خصّ مصادرة الأراضي كما صُودرت فيه أملاك السكان بحجة الإهمال.

- قرار 1846 م الذي فرض على كل مواطن سندات ملكية أصلية كما قام بتحديد الملكيات، أمّا الأراضي التي ليست لها سندات تُحوّل مباشرة إلى ملكية الدولة.

* الدور الذي لعبه أحمد باي في تفجير ثورة الزعاطشة وهذا ما أكدّه "هريون" حيث أنّه بعد القضاء على أحمد باي واقتحام منزله عُثر على بعض المراسلات التي كانت بين أحمد باي وبوزيان وهو دليل قاطع على أنّ المقاومة الشعبية في منطقة الجنوب هي امتداد للمقاومة الشعبية المنظمة في الشمال.

ثانياً: مراحل ثورة الزعاطشة

كانت العوامل والظروف السابقة التي ذكرناها سبباً قوياً لإعلان الثورة ضدّ الغزاة الفرنسيين، وحمل راية الجهاد في واحة الزعاطشة.

وكان أول عمل قام به "الشيخ بوزيان" هو استدعاء رؤساء القبائل والأعراش والتي جاءته من كل جهة من أجل إقناعهم بالانضمام إليه في هذه الثورة، وقد نجح بوزيان في إقناع الجميع واستطاع كسب ثقتهم، فالتقوا حوله وثاروا معه ضدّ السلطات الفرنسية التي جاءت لتجمع الضرائب آنذاك، فأعلنوا للفرنسيين رفضهم عن جمع الضرائب ونتيجة لذلك توجه "سيروك" نائب المكتب العربي بسكرة نحو الزعاطشة من أجل إلقاء القبض على الرافضين للوجود الفرنسي ومنهم الشيخ بوزيان بصفته زعيمهم ومحرض القبائل على عدم دفع الضرائب، وكان برفقة "سيروكا" شيخ قرية طولقا "ابن الميهوب" وبعض رجاله، ولما وصلوا إلى واحة الزعاطشة وجدوا الشيخ بوزيان يتجول بمفرده في البطحاء التي تقع في وسط القرية وهناك أمر الضابط الفرنسي بوزيان بأن يركب البغلة المعدة لنقله إلى السجن في بسكرة، وقد نقّد الشيخ بوزيان أمر الضابط الفرنسي ولم يعارضه، ومن أجل ربح بعض الوقت أي حتى يستعدّ المجاهدون للهجوم مزّق خيط سبخته فتناثرت حبّاتها على الأرض فنزل بغرض جمعها، وفي أثناء جمعه لحبات سبخته أطلق المجاهدون وابلا من الرصاص من بنادقهم فتفرقت صفوف الفرنسيين، وانسحبوا من القرية فارتين من شدّة الخوف والرعب تاركين وراءهم حصانين وبرنوسين أحمرين وبنديقية اغتتمها أهل الزعاطشة.

كانت هذه الحادثة التي وقعت بواحة الزعاطشة بمثابة إعلان لانطلاق ثورتهم، وكان أول هجوم لأهلها على القوات الفرنسية.

ونتيجة لذلك قدّم الملازم " سيكورا" تقريراً مفصلاً إلى القيادة العليا يذكر فيه أنّ جميع سكان واحات الزيبان قد أعلنوا الحرب على الفرنسيين بزعمارة الشيخ بوزيان، وعلى إثر هذا التقرير اتّجه الضابط " دوبوسكييه" رئيس المكتبة إلى الزعاطشة، وطلب من أهلها تسليم الشيخ بوزيان إلا أن طلبه هذا قوبل بالرفض، ومن خلال هذا الرد تأكّد الضابط " دوبوسكييه" أنّ أهالي الزعاطشة مصمّمين على مواصلة الحرب ضدّ فرنسا، وأنّ روح الثورة قد انتشرت في المنطقة، وأنّ سكان فرفار و فوغالة مستعدّين لمحاربة القوات الفرنسية دفاعاً عن الزعاطشة، وحتى شيوخ بوشقرون وطولقة قد خرجوا عن طاعة السلطات الفرنسية، وعلى إثر ذلك انسحب إلى بسكرة ليتّخذ الإجراءات اللازمة من أجل قمع هذه الثورة والقضاء على زعيمها ومناصريها .

ومن بين الإجراءات التي اتّخذت للقضاء على ثورة الزعاطشة هي قيام النقيب "لاقرونيه" بإعطاء أوامر لشيخ العرب بوعزيزين قانة بأن يقوم بجمع قواته ويحاصر واحة الزعاطشة وفرفار وليشأنه بهدف عزلهم عن القرى الأخرى التي كانت تقدّم لها المساعدة، فيقطع عنها المدد والمساعدات فتضطرّ هذه الواحات للاستسلام للفرنسيين، غير أنّ خطته باءت بالفشل ذلك أنّ أهالي واحة الزعاطشة تمكنوا من الصمود.

وقد مرت واحة الزعاطشة بثلاث مراحل أساسية وهي: (مرحلة الانتصار، حصار الزعاطشة ، و قمع الثورة).

1- المرحلة الأولى " مرحلة انتصار الثورة ":

كانت بداية هذه المرحلة عندما وصلت الجيوش الفرنسية إلى واحة الزعاطشة يوم 16 جويلية 1849 م بقيادة " كاربوسيا"، وقد بلغ تعداد هذه القوات 1350 جندياً من المشاة، و220 فارساً، ومدفعان عيار 16 سم، و4 مدافع عيار 12 سم.

عسكر قائد الحملة كاربوسيا في غابات فرفار، وبعد ذلك قام بتقسيم قواته إلى فرقتين؛ الفرقة الأولى ترأسها العقيد "لنونار"، والثانية برئاسة "سان جرمان"، وتمثلت الخطة الفرنسية في توجيه هجوم خاطف على الواحة قبل وصول المجاهدين الجزائريين من المناطق المجاورة، وبعد فترة قصيرة من الزمن باشر سكان الزعاطشة بإطلاق النار على قوات العدو، وبعد ذلك احتدم القتال بين الطرفين وبعد ساعات طويلة من المعركة لاحظ "كاربوسيا" تناقص عدد قواته، فتأكد من أنّ النصر في هذه المواجهة أمر مستحيل، ونتيجة لذلك أمر رجاله بالانسحاب من ساحة المعركة، إلا أنّه وفي أثناء القيام بعملية الانسحاب تفاجأت قوات العدو بأنّها محاصرة من طرف سرايا مجاهدي المسيلة وبوسعادة وأولاد نايل الذين جاءوا للجهاد في صفوف بوزيان تلبية لطلبه، ذلك أنّ بوزيان عقب إعلانة لثورة الزعاطشة كان قد بعث إلى عدّة جهات من البلاد وطلب منهم الالتفاف حوله، ومن جهة أخرى تحركت سرايا من سفوح الأوراس الجنوبية.

ولم يستطع القائد "كربوسيا" الخروج من ميدان المعركة، ولم يجد حلاً للنجاة سوى التظاهر هو ورجاله بالموت، فانبطح مع من كان معه من جنوده إلى جوار القتلى موهما الثوار بأنهم أموات، ولما غادر المجاهدون ساحة المعركة قام الجنود الفرنسيين بالرجوع إلى بسكرة.

لقد تكبدت القوّات الفرنسية في هذه المعركة خسائر معتبرة حيث قُتل منهم 31 جندياً و117 جريحاً على الأقل.

لقد شجّع هذا الانتصار الذي حققه سكان واحة الزعاطشة على الفرنسيين الكثير من زعماء الجزائر على محاربة الفرنسيين وإعلان الجهاد، فقد قام الشيخ المرابط سيدي عبد الحفيظ مقدم إخوان الرحمانية في واحة خنقة سيدي ناجي برفع لواء الجهاد في الأوراس والتفّ حوله مجموعة من قبائل أولاد داود وأولاد عبدي وبني سليمان وأهل نسيغة حيث تحرك على رأس قوة معتبرة بلغ تعدادها 200 فارس متوجها نحو بسكرة.

وصل سيدي عبد الحفيظ إلى سريانة وأمر قواته بالتمركز على الضفة اليسرى لواد براز وبمجرد وصوله وإنزال قواته حتى أرسل رسولا إلى الشيخ سيدي عقبة الباي بن شنوف يطلب منه

الاتحاد معه ضدّ الفرنسيين، وعندما وصلت رسالة الشيخ سيدي عبد الحفيظ إليه قام بخيانتته وغدر به، حيث أبلغ السلطات الفرنسية بمخططات الشيخ سيدي عبد الحفيظ، ومباشرة جهّزت السلطات الفرنسية حملة تحت قيادة قائد دائرة بسكرة "سان جرمان" من أجل مباغته المجاهدين المعسكرين بواد براز قبل طلوع الفجر.

وصلت الحملة إلى واد براز، وقام قائدها بضرب حصار على معسكر المجاهدين، وباشروا بهجوم فاجأ المجاهدين، فهُمّ لم يتوقعوا خيانة ابن شنوف لهم، ودارت بينهما معركة كبيرة كان النصر في بدايته لصالح المجاهدين، فأسقطوا القائد "سان جرمان" قتيلا بعد إصابته برصاصتين في الرأس، غير أنّ الجنود الفرنسيين استطاعوا قلب موازين المعركة فكان النصر في الأخير لصالحهم، وهذا ما جعل سيدي عبد الحفيظ يتراجع وينسحب من ميدان القتال تاركا وراءه خسائر كبيرة قُدّرت بحوالي مائتي شهيد، ولجأ سيدي عبد الحفيظ إلى الاختباء بالجبال على أمل أن يجمع قواته مرّة أخرى، ويعاود الهجوم على بسكرة من أجل تخليصها من العدو المحتل.

2- المرحلة الثانية "مرحلة حصار الزعاطشة":

لم يكن النصر الذي حققه بوزيان وأنصاره نهاية الحرب في واحة الزعاطشة، فقد كان طبيعيا أن تنتقم فرنسا من الهزيمة القاسية التي مُنيت بها قواتها إلا أنّها هذه المرّة تجهّزت أكثر وأعدّت جيشا قويا، وانتظرت نهاية فصل الصيف.

وكانت بداية هذه المرحلة عندما قرّر حاكم مقاطعة قسنطينة التحرك على رأس جيوش ضخمة نحو واحة الزعاطشة في خريف 1849 م. وفي 25 سبتمبر تحركت الحملة من قسنطينة وكان قد بلغ عددها تعدادها حوالي أربعة آلاف وأربعمائة وتسعة وثلاثين جنديا بقيادة الجنرال "هريون" حاكم مقاطعة قسنطينة.

وصلت القوات الفرنسية إلى المنطقة يوم الأحد 7 أكتوبر 1849 م على الساعة الثامنة صباحا، وعسكرت القوات فور وصولها بمنطقة تسمى كدية المايدة، وهي منطقة تمثل نقطة وصل

بين الزعاطشة وليشانة وبوشقرون وطولقة، ومن ترتيبات هذا الحصار المضروب هو احتلال الزاوية التي تقع على مسافة نصف كيلومتر من الكدية، وقد كانت بالزاوية مدرسة تعلوها مئذنة، وكان سبب اختيار هذه الزاوية موقعها الاستراتيجي الذي يوفر شروط الحصار.

ولتشديد الحصار على واحة الزعاطشة أمر قائد الحملة شيخ العرب ابن قانة بوعزيز بجمع قواته والتمركز من جهة الجنوب، كما أمر فرقة الخيالة التي كانت بقيادة " الكولونيل دوميرياك " بالتمركز ما بين طولقة والزعاطشة حتى يمنع وصول أي إمداد لها .

وأمر المقدم " ليرسات " بالتمركز قرب ليشانة لنفس الغرض وبعد الانتهاء من هذه الاستعدادات والتأكد بأن الحصار محكم على الواحة أمر القائد " هيريون " رجاله بالمباشرة في الهجوم وقصف الزاوية لإحداث فجوة في جدرانها، وإبعاد المدافعين عن أسوارها فيسهل على الجنود الفرنسيين اقتحامها

تمكن الفرنسيون من هدم الجدران المحيطة بالزاوية والدخول إليها. وبعد دخولهم حدثت اشتباكات عنيفة بينهم وبين المجاهدين جعلتهم يتراجعون إلى الخلف بعد الخسائر التي تعرضوا لها حيث قُتل منهم ما يقدر بخمسة وعشرين قتيلًا من بينهم ضابط واحد وسبعة وأربعون جنديًا وعدة جرحى .

رغم الخسائر التي تعرضت لها القوات الفرنسية والمقاومة الباسلة التي أبدتها المجاهدون الجزائريون إلا أنّها لم تنجح في ردّ قوات العدو عن الزاوية فقد تمكنوا من احتلالها ورفع العلم الفرنسي فوق مئذنتها وهذا من أجل إحكام قبضة الحصار على كامل واحة الزعاطشة.

وقد تمكن الشيخ بوزيان من الخروج سالما من هذا الحصار، وأخذ يرسل مختلف الجهات ليطلب النجدة والمدد للاستمرار في مقاومة القوات الفرنسية، فتوافدت عليه الكتائب والإعانات من جميع الأعراش، حيث وصلت أجناد كثيرة إلى ميدان المعركة من وادي سوف، وأيضًا وصل إلى

الواحة محمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفة الأمير من تونس بالإضافة إلى وصول إمدادات من بوسعادة وأولاد نائل تلبية لنداء بوزيان.

المرحلة الأخيرة " مرحلة قمع الثورة": وصلت إلى واحة الزعاطشة أجناد كثيرة من أجل الانضمام إلى المجاهدين ومساعدتهم على فك الحصار الذي ضربه عليهم القائد "هيريون" وقد لاحظت القوات الفرنسية توافد الإمدادات من كل جهة على الواحة فأدركوا أنهم في موقف حرج ونتيجة لذلك طالب الجنرال "هيريون" السلطات الفرنسية بإرسال قوات أخرى لمساعدتهم.

وفي 25 نوفمبر 1849 م توجهت نحو الزعاطشة قوات ضخمة من قسنطينة وباتنة وبوسعادة وسكيكدة وعنابة وكان يشرف على هذه القوات ضباط بارزون نذكر منهم "بارا" والعقيد "دوماتنال" والعقيد "كونووير" و "لورمال"، وقد بلغ تعداد القوات الفرنسية الجديدة أكثر من 8 آلاف رجل مزودين بالعتاد والأسلحة والمدافع فضلا عن الجنود المرتزقة والاحتياطية.

بعد وصول الإمدادات الفرنسية إلى الواحة تمّ قسم القادة الفرنسيين لقواتهم إلى ثلاثة فرق، ثمّ قسّمت الفرق نفسها إلى ثلاثة أقسام، فأشرف على الفرقة الأولى "القائد بارال" والثانية تحت قيادة "كانروبار"، أما الفرقة الثالثة فكانت تحت قيادة "دوماتنال"، وأوكلت قيادة الفرسان للكولونيل "ميرج" والرماة وُضعوا تحت قيادة "باريزي"، وجنود الهندسة تحت قيادة "بريت فيلو"، وقبل انطلاق الهجوم أعطيت أوامر وتعليمات بإبادة كل الواحة وتخريبها.

في 17 نوفمبر استكمل الفرنسيون استعداداتهم وصوّبت مدفعايتهم نحو أهم مراكز الواحة وفي 20 نوفمبر بدأ هجوم الفرنسيين وذلك من خلال تكثيف القصف على أسوار القرية بغرض هدمها واقتحام القرية، وقد استمرّ هذا القصف حتى يوم 26 نوفمبر، وفي هذا اليوم تمّ القصف بصورة مركّزة من الصباح الباكر إلى غاية منتصف النهار، وبعد أن تمكنوا من الدخول إلى الواحة دارت بينهم وبين أهالي الزعاطشة معارك طاحنة، وقد تمكن المجاهدون من قتل 11 جنديا من بينهم الضابط جيورين.

وأدى القصف المكثف إلى هدم كل الدور في الواحة ومقتل معظم سكانها، ولم تبق إلا دار بوزيان قائمة والتي كان يتصاعد منها الضرب، فوضع العدو فيها الألغام، ونسفت بمن فيها إلا أنّ بوزيان خرج سالما من وسط الركام فأنهالت عليه القوات الفرنسية بالرصاص حتى سقط شهيدا، أمّا " هيريبيون" وبعد أن تأكد من مقتل زعيم الثورة أقام مقصلة رفع عليها ثلاثة رؤوس، رأس بوزيان ورأس ابنه خوفا من يأخذ بثأر أبيه، ورأس الحاج موسى الدرقاوي المعروف ببوحمارة .

ثالثا: نتائج ثورة الزعاطشة

لقد كانت نتائج ثورة الزعاطشة صفحة مضيئة في تاريخ منطقة الزيبان، وجاءت لتثبت للعالم المجازر الفضيعة والأعمال الشنيعة التي ارتكبتها الجيش الفرنسي، فلا يمكن لأحد أن ينسى تلك المقاومة الصارمة التي وقعت ببلاد الجنوب الجزائري ورغم صمود السكان إلا أنها خلفت خسائر عظيمة. ومما خلفته هذه الثورة نذكر:

- الخسائر الفادحة التي منيت بها الواحة بعد استيلاء الجيش الفرنسي على القرية بعد معركة دامية قتل فيها سكانها حيث قامت السلطات بتدمير قصور الواحات ومصادرة أملاكهم.

- اتّباع الفرنسيين سياسة القتل والنّهب والنّسف وهتك الأعراس وقطع رؤوس الأحرار، حيث تمّ إعدام 794 مجاهدا رميا بالرصاص، وشُنق 1500 شخص، وقطعت رؤوسهم وتم تعليقها على الخناجر والسيوف والبنادق والأبواب. وبلغ عدد النساء اللواتي قُتلن 117 امرأة، وزيادة على عدد الشهداء قامت السلطات الفرنسية بنفي الأسرى إلى مختلف مناطق الوطن.

ولعلّ أهمّ شهادة يمكن أن نصف بها بشاعة الجازر شهادة جندي وهو يصف منظر جنديّ فرنسيّ يحمل طفلا صغيرا من رجله ويضرب رأسه على الحائط ليهشمه، كما استاء البعض من الأعمال الشنيعة التي قام بها الجيش الفرنسي في حق السكان فوصفها: " لا أخاف أن أقول بأنّ مجد المنهزمين عظم وفاق مجد المنتصرين".

- قطع جنود الاحتلال لما يقارب عشرة آلاف نخلة وحرقتها إضافة إلى مصادرة أملاك الأهالي التي قدرت بـ 12738 نخلة، و903 شجرة مثمرة.

- التضامن الديني والوطني المنقطع النظير الذي أظهره سكان واحة الزعاطشة ، المتحلين بروح الإصرار المؤمنين ببلوغهم الهدف، ذلك التضامن الذي بثّ الدهشة والرعب في نفس العدو، واستطاع من خلاله أن يفشل كل خططهم اللإنسانية، فقد آثروا موت الشرف على استسلام العار والهزيمة. هذا التضامن الذي كان بحق نقطة اختلاف بين ثورة الزعاطشة والمقاومات التي سبقتها.

- احتلال مدينة بوسعادة حيث قامت في هذه الأخيرة ثورة بقيادة محمد علي شبيبة، فلما سمع بثورة بوزيان قام بالدعوة لها ومساندتها، كما قام بإرسال النجدة إلى الواحة ومهاجمة الحامية الفرنسية لمدينة بوسعادة سنة 1849 م، وقد تلقى الدعم من أولاد نايل وعدد من سكان النواحي المجاورة، وتمكنت القوات الفرنسية بقيادة العقيد " دوماس " من دخول المدينة.

- الانتقام الذي قام به العقيد "كانروبار" في 5 جانفي 1850 م من واحة نارة، فقد لقيت مصيرا كمصير الزعاطشة التي ترقى على إثرها إلى رتبة جنرال.

- سحب السلطات الفرنسية الثقة من العائلتين الخائنتين (بوعكاز وابن قانة) رغم المساعدات التي قدمتها العائلتان للسلطات الفرنسية من أجل إبادة واحة الزعاطشة والقضاء على الثورة، إلا أن السلطات الفرنسية قامت بتقسيم نفوذ العائلتين لا لشيء سوى لشكها فيهما، كما لاحظت أنّ اتحادهما يشكل خطرا جديدا على فرنسا وهي ليست مستعدة لصدّهما، لذلك قامت بإعطاء عائلة بوعكاز قيادات صغيرة في الحضنة ونواحي سطيف إضافة إلى الزاب الشرقي وبني بوسليمان بالأوراس التي كانت تابعة لابن قانة .

أمّا عائلة ابن قانة فقد تمّ تقسيم منطقتها الزاب الغربي إلى العرب الشراقة والعرب الغرابة بقصد مراقبة الشيخ ابن قانة، كما تمّ استحداث منطقة جديدة في شمال بسكرة تسمى قيادة

السحاري وهي تابعة لبوخراس، والهدف من هذا الأسلوب هو السماح للسلطة الفرنسية بمراقبة العائلات المتعاملة معها عن كثب.

- استمرار المقاومة في مختلف ربوع الوطن بين 1849 م و 1850 م، ومن بين هذه الثورات، الثورة التي حدثت في زواوة بتيزي وزو وسور الغزلان، حيث قام أحد الأشراف باستغلال خبر إطلاق سراح "بومعزة" من قبل السلطات الفرنسية وادّعى أنّه هو بومعزة، ودعا إلى الثورة فاستجاب له الناس، ولكنّ السلطات تمكنت من إلقاء القبض عليه، وكان مصيره مماثل لمصير الشيخ بوزيان حيث قُطع رأسه وتمّ تعليقه فوق مقصلة سور الغزلان حتى لا يشكّ الناس في موته.

- مهاجمة الجنرال "هيريون" واستلائه على الواحة وإتلافها، وإلقاء القبض على بوزيان وابنه وموسى الدرقاوي الذي كان بجنوب المدينة حيث تمّ سحبه من منزله بعد بضعة أيام من البحث عن منزله، حيث دافعوا عن أنفسهم مثل الأسود واستطاع "هيريون" الرفع على المقصلة ثلاثة رؤوس؛ رأس الشيخ بوزيان وابنه الشاب (خوفا من أن يأخذ بثأر أبيه ذات يوم)، ورأس الحاج موسى الدرقاوي، وتركت مكشوفة لأيام ليشهد عليها من يشهد. وقد أكد "هيريون" أنه قرّر تعليق رؤوس هؤلاء الثلاثة حتى يقضي على الإشاعات التي روجها سكان الواحة من أنّ هؤلاء الثلاثة لم يموتوا وإنما فرّوا، لكن هل كان تكذيب تلك الإشاعات يبرّر هذا العمل البشع الذي لا يمكن وصفه إلا بالهمجية في الوقت الذي كان تسليم الجثث لأهاليهم دون التمثيل بها يؤكد استشهاد هؤلاء ومن ثمّ القضاء على تلك الإشاعات التي ادّعى الفرنسيون انتشارها.

بيبلوغرافيا مختارة:

1. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.

2. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992

3. شلبي شهرزاد: ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008 / 2009.
4. عمراوي حميدة وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009
5. فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2002.
6. ملاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر 2006.
7. مياسي ابراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

المحاضرة السادسة مقاومة شمال الصحراء

أولاً: أهداف وأبعاد الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية

1- بداية الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية:

2- أهداف التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية:

أ/ الأهداف الاقتصادية:

ب/- الأهداف الاستراتيجية :

ج/- الأهداف العسكرية:

ثانياً: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

ثالثاً: مقاومة الشريف بوشوشة

مقدمة:

بعد استقرارها في مدينة الجزائر سنة 1830، أخذت القوات الفرنسية توسع احتلالها نحو المدن الساحلية. ولما بدأت تتوغل في المناطق الداخلية اصطدمت بمقاومة الأمير عبد القادر في الغرب وأحمد باي في الشرق، اللتين ظلت تواجههما طيلة حوالي عشرين سنة، وكان الجنوب الجزائري حينها ممتنعاً عن النفوذ الفرنسي.

وبعد القضاء على المقاومين سنة 1847، وجهت أنظارها نحو المناطق الجنوبية، فكانت أول مواجهة مع أهالي الجنوب الجزائري في مقاومة الزعاطشة سنة 1849. ثم مقاومة محمد بن عبد الله التي تعتبر أهم وأكبر مواجهة مع سكان الجنوب الشرقي للجزائر.

أولاً: أهداف وأبعاد الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية

1 - بداية الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية:

كان الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية مركزيا وسابقا عن الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة عام 1830م؛ إذ أن الرحالة الأوروبيون قد دونوا معلومات قيمة عن الجنوب الجزائري. وقد استفاد الضباط الفرنسيون مما تركه هؤلاء الرحالة في معرفة أحوال الصحراء وفي توجيه حملاتهم التوسعية بهذه المنطقة، ومن ذلك نذكر الضابط لابي (LAPIE) الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية، وكانت هذه الخريطة أحسن أداة وظفها الفرنسيون فيما بعد في التوسع العسكري والمدني والتحكم الإداري والاجتماعي في الصحراء.

إضافة إلى هذا فإنه سبق لقادة الاحتلال أن استخبروا علماء كانوا يعرفون الصحراء جيدا، مثلما حدث مع العلامة الموريتاني أحمد مصطفى ولد طوير الجنة الذي مر من الجزائر عام 1832م أثناء عودته من الحج قاصدا بلده.

ومن جهة أخرى فقد وظف الأوروبيون الجانب العلمي في دراسة الصحراء إذ اهتم أفازاك (AVEZAK) بدراسة المنطقة وأنجز عام 1836م دراسة جغرافية عن الصحراء ضمنها خريطة هامة وضح عليها المعالم الرئيسية ومنها طرق المواصلات القديمة مع تقديم تصور حول كيفية استغلالها من طرف فرنسا.

وفي سنة 1837م أسست لجنة علمية فرنسية انكبت على دراسة امكانيات الجزائر وكيفية استثمارها وتشكلت هذه اللجنة من عسكريين ومدنيين ومنهم كاريط (Carette).

وألّف الضابط دوما (Daumas) بتشجيع من المارشال بيجو سنة 1845 كتابا بعنوان الصحراء الجزائرية (Le Sahara Algerien) وهو دراسة احصائية وجغرافية وتاريخية عن الجنوب القسنطيني.

ومن المستكشفين الذين كان لهم السبق في التوسع بالصحراء وبوسائل متعددة الجنرال ديفو (Devaux) الذي أبحر السكان بما أقام من مشاريع، ومن بينها حفر الابار وشق الطرقات وفرض الأمن.

وترجمت السلطات الفرنسية اهتماماتها عمليا بأن سمحت لقافلتين تجاريتين فرنسيتين بالانطلاق من بسكرة الى جنوبها يوم 13 جويلية 1844 أي بعد احتلال هذه المدينة في مارس 1844 انطلقت تلك القافلتان لهدف معرفة أسواق المدن الداخلية فاتجهت واحدة الى توقرت والثانية الى عين صالح.

وقد وظفت السلطة الفرنسية هذه المعلومات أثناء توسعاتها بالصحراء مثلا في عين ماضي 1844/04/22 وفي الأغواط يوم 1844/04/25 م وفي حملاتها العسكرية الكثيرة الى مناطق من الأوراس والى توقرت وواد سوف.

ووجدت فرنسا مساعدات من بعض الشيوخ أثناء توسعها مثلما وجدته في بوعزيز بن قانة الذي عينته فرنسا شيخ العرب على الزيبان ابتداء من جانفي 1839 م.

وبذلك دخلت الصحراء مرحلة جديدة من العلاقات ظل يتقاسم النفوذ فيها كل من الأمير عبد القادر عن طريق خلفائه والحاج أحمد باي والفرنسيين فتمكنوا بفضل مساعدة سي حمزة من التوسع بالصحراء والدخول الى ورقلة بصفة قوية عام 1853 م ففاز سي حمزة بثقة الفرنسيين وعين خليفة على مناطق واسعة من الصحراء امتدت من البيض الى ورقلة.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن السياسة التي تبعتها فرنسا من خلال كسب ود شيوخ المنطقة بعد أن دون هؤلاء الرحالة الأوروبيون معلومات جغرافية وتاريخية عن الصحراء الجزائرية قد مكنتها من التوسع في أغلب أنحاء الصحراء.

2- أهداف التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية:

أ / الأهداف الاقتصادية:

وذلك نظرا لما تزخر به الصحراء الجزائرية من المواد الأولية كالحديد والفحم والنحاس والزنك والرصاص والقصدير واليورانيوم اضافة الى اكتشاف حقول البترول والغاز الطبيعي واللدان يعتبران رهانا لفرنسا.

ان الهدف من محاولة التوسع في الصحراء كان لغرض الاستغلال الكامل للثروات التي تزخر بها المنطقة الى جانب اقناع الشعب الفرنسي بأن مستقبل بلاده الصناعي مرهون بحضوره وتواجده في الصحراء للبحث عن الثروات الطائلة المخفية تحت الرمال ففرنسا فتحت باب المساهمة للشركات الأجنبية للعمل بالصحراء نجدها انتهجت سياسة خاصة من لأجل حماية المصالح الوطنية للاقتصاد الفرنسي.

كما أن كل مساهمة أجنبية للعمل بالصحراء تتم اما عن طريق الشركة الفرنسية أو الشركة المختلطة مع طرف من الأطراف الفرنسية اذ لا يمكن للطرف الأجنبي الحصول على مساهمة بأزيد من 50% في رخصة الاستغلال وفي ذلك يقول السيد يباركوني المستشار بمجلس الاتحاد الفرنسي ليكن كل دخول أجنبي للعمل بالصحراء محتزنا بمساهمة فرنسية أكثر أهمية ويضيف كذلك "ان الصحراء الأمل المرتقب لانقاد الامبراطورية الفرنسية من الانهيار لكونها تزخر بالثروات الباطنية من خامات صناعية كثيرة بالفحم ومعادن في كل من بشار وتندوف.

ب/- الأهداف الاستراتيجية :

تعتبر الصحراء أداة وصل بين شمال افريقيا وجنوبها لموقعها الاستراتيجي وبالتالي فان فرنسا بتمركزها في الصحراء ستبقى على اتصال دائم بالبلدان الافريقية، كما أن الاحتفاظ بالصحراء سيعزز مركز فرنسا في القضاء على الحركات التحررية في افريقيا .

ج/- الأهداف العسكرية:

على إثر التنافس العلمي والعسكري القائم بين الدول الأوربية الكبرى في مجال التسابق للسيطرة على افريقيا، رأت فرنسا أنه من الضروري احتلال الصحراء لكي تتمكن قواتها العسكرية من العبور نحو افريقيا ما وراء الصحراء.

يمكن القول أن هذه الأسباب بالرغم من اختلافها الا أنها تتداخل فيما بينها في وصولها لتحقيق الهدف المنشود ومن هذه الأسباب اندفعت فرنسا صوب الصحراء لتجد من خلال توسعاتها الكنز المفقود.

ثانيا: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

الشريف محمد بن عبد الله هو أحد أبطال المقاومة الشعبية، حسب الوثائق الفرنسية فإنه من أولاد سيدي أحمد بن يوسف من قبائل الغاسول، واسمه ابراهيم بن عبد الله، ثم أخذ اسم الجهاد لطرده الكفار وهو محمد بن عبد الله، بينما تذهب بعض الروايات إلى أنه من عائلة أولاد سيدي الشيخ. استقر في عام 1840 بتلمسان مع أسرته واشتغل بتعليم الأطفال القرآن الكريم داخل زاوية سيدي يعقوب التابعة لأولاد سيدي الشيخ.

ظهر على مسرح الأحداث منذ أن كان مع آغا الغاسول التابع للأمير عبد القادر، إلا أنه كان يطمح لمنصب الخليفة، فقام محمد بن عبد الله بالاتصال بالملك الفرنسي لويس فيليب (Louis Philippe) عارضا عليه أن يكون مع الفرنسيين وخصما للأمير. وكان له ما أراد إذ عُين خليفة على تلمسان بعد سقوطها في أيدي الفرنسيين في شهر فيفري سنة 1842. لكن سرعان ما ارتابوا في ولاءه، فغادر تلمسان مضطرا إلى أرض الحرمين لأداء فريضة الحج، سنة 1845، وهناك التقى بمؤسس الطريقة السنوسية محمد بن علي السنوسي، وفي طريق رجوعه إلى الجزائر عرّج على طرابلس أين استقبله حاكمها أحمد عزت باشا الذي حرضه على الثورة، كما تقول الرواية الفرنسية.

وقد دخل الجزائر عبر المسالك الصحراوية حوالي سنة 1850، واتخذ اسما جديدا وهو الشريف محمد بن عبد الله، وصادف دخوله وفاة سلطان ورقلة الحاج أحمد بن باية تاركا الحكم لابنته لالة الزهرة التي تنازلت له عن لقب "سلطان ورقلة".

وبعد استقراره في ورقلة بدأ يعد العدة لمقاومة الاستعمار الفرنسي، كان ذلك في شهر جوان سنة 1851. ثم فكر في الاستيلاء على تقرت التي كانت تخضع لسلطنة عائلة ابن جلاب، فاتجه إليها وخاض معركة مع سلطانها سليمان بن جلاب، وحقق نصرا حاسما عليه بفضل أتباعه من الأرباع والشعابنة والمخادمة.

غادر بعدها تقرت واتجه إلى جبل عمور لجمع المزيد من الأنصار. وللقضاء على حركته قام الجنرال راندون بتجنيد ثلاثة طوابير عسكرية كبيرة لمحاربتها، فاشتبك معه في معركة عين الرق؛ حيث قتل فيها من الفرنسيين حوالي 200 رجل، فاستقبل في الأغواط بعد ان فشل في دخولها من قبل. وقد أظهر بطولة فائقة في الدفاع عن مدينة الأغواط وقصورها خاصة بعد انضمام ابن ناصر بن شهرة، إلى أن سقطت يوم 4 ديسمبر 1852. وبعد أن خرج منها بصعوبة حاول إعادة تنظيم صفوفه لاستعادتها، إلا أن تسارع الأحداث اضطره إلى الرجوع إلى ورقلة لحماية نفوذه فيها.

وفي شهر ديسمبر 1853 اشتبك الشريف بن عبد الله مع قوات سي حمزة حليف فرنسا، إلا أنه تلقى هزيمة قاسية اضطرته إلى التراجع نحو تقرت، وبعد وصول قوات فرنسية كبيرة إلى ورقلة اضطر إلى الانتقال إلى تونس في مطلع سنة 1854؛ أين احتفى بقبائل خمير التونسية. ثم عاد مرة أخرى إلى ورقلة في شهر سبتمبر 1854، وأخذ يتنقل بين المناطق الصحراوية ويتردد على تونس، إلى أن أُلقي عليه القبض بمساعدة الباشا آغا سي بوبكر ولد حمزة في أكتوبر 1861؛ حيث اقتيد إلى سجن قارة الحاج، ثم وهران فجزيرة كورسيكا قبل أن يرجعه الفرنسيون إلى سجن عنابة شبه ميت سنة 1863.

ثالثا: مقاومة الشريف بوشوشة

هو الثائر محمد بن التومي بن إبراهيم، ولد بقرية الغيشة قرب جبال العمور سنة 1839 من أسرة فقيرة. عرف بلقب "بوشوشة" لأن له شعر طويل فوق رأسه.

بعد خروجه من سجن بوخنيفيس سنة 1863 توجه نحو المغرب، أين مكث مدة من الزمن. وفي سنة 1865، لما تزعم سي أحمد بن حمزة مقاومة أولاد سي الشيخ عرض على بوشوشة قيادة نصف جيش الثوار، إلا أنه رفض هذا العرض بسبب ما لقيه من قائد الأبيض سيد الشيخ الجديد بن النعيمي. ولما عاد من المغرب بدأ يتنقل في عدة مناطق من الصحراء مثل توات ورقلة وعين صالح.

وفي عين صالح بدأ بوشوشة بجمع انصاره، وبعد للثورة ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1869؛ فقام باستقدام شعابنة المواضي ثم شعابنة ورقلة سنة 1870، وبكل هؤلاء الأنصار قام في مارس 1870 بمهاجمة الأرباع وسعيد عتبة في الحماد. وفي أبريل 1871 دخل المنيعه وأسر قائدها جعفر. وفي 7 ماي 1871 استقر في متليلي، وبعد حصار دام لأيام انسحب من متليلي نحو آبار سبب تحت ضغط قائد الأرباع لخضر بن محمد. ثم عاد أدراجه نحو عين صالح.

دخل بوشوشة ورقلة في شهر مارس 1871، بعد أن تلقى رسائل من الناصر بن شهرة والأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر، وبعض القبائل في المنطقة؛ مثل الشعابنة والمخادمة. وبعد استقراره في ورقلة، بدأ يوسع نفوذه نحو المناطق المجاورة؛ تقرت، نقوسة، سوف، ... ووصل حتى متليلي وميزاب.

وفي شهر سبتمبر 1871، ذهب إلى متليلي والتقى هناك بزعيم أولاد سيدي الشيخ سي الزبير بن بوبكر الذي تحالف معه وزوجه بنت أخيه فاطمة بنت سي جلول، فعينه بوشوشة آغا على ورقلة؛ وبذلك نجح بوشوشة في إفشال خطة الفرنسيين التي كانت تهدف إلى التحالف مع سي الزبير للقضاء على ثورته.

إلا أنّ الجنرال دولا كروا (De Lacroix-Vaubois) تمكن من طرده من ورقلة في جانفي 1872، فانسحب جنوباً نحو حاسي تامزغيدة؛ أين قام بوشوشة بإعادة تنظيم جيشه فقسّمه إلى خمس كتائب صغيرة، واحدة بقيادة هو وصهره سي الزبير، والأخرى خاصة بالشعانية، الثالثة للمخادمة، الرابعة تحت قيادة بن شهرة، أما الخامسة فكانت تتشكل من المقرانيين، وهناك لاحقتهم قوة عسكرية تتكون من 250 فارساً تحت قيادة العقيد قوم (Gaume).

بعد معركة تامزغيدة، تراجع بوشوشة جنوباً نحو عين صالح، وظل مطارداً في الصحراء إلى أن تمكن آغا ورقلة محمد بن ادريس من أسره حين سقط جريحا في معركة الميلوك جنوب عين صالح يوم 29 مارس 1874، وصدر في حقه الإعدام. وقد نفذ فيه الحكم بمعسكر الزيتون قرب قسنطينة في 29 جوان 1875.

ببليوغرافيا مختارة:

1. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
2. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
3. شلي شهرزاد: ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008/2009.
4. عمراوي احميدة وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009.
5. فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2002.
6. لكحل الشيخ: مقاومة منطقة متليلي الشعانية للاستعمار الفرنسي في الفترة 1851-1906، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي 2019.
7. ملاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر 2006.
8. مياسي ابراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

9. Trumelet Corneille: Les français dans le désert, Challamel Aîné Éditeur, Paris, 1885.

10. Simon H.: Comment Bouchoucha raconta un jour son histoire, In B.L.S, N19, Janvier 1955, Alger

المحاضرة الرابعة

ثورة الناصر بن شهرة

أولاً: المحاولات الفرنسية الأولى لاحتلال الأغواط:

1. التعريف بابن ناصر بن شهرة:

-الصراعات الداخلية في الاغواط قبل الاحتلال الفرنسي:

الاحتلال الفرنسي لمدينة الاغواط:

ثورة بن ناصر بن شهرة في الاغواط:

بداية الثورة في مدينة الاغواط

ثالثاً: ثورة الناصر بن شهرة بعد سقوط الأغواط:

1- مشاركته مع ثورتي الشريف بن عبد الله وأولاد سيد الشيخ

أ- ثورة الشريف بن عبد الله 1851 -1861:

ب)- مع ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1869

2-مشاركته في ثورة بوشوشة:

أولاً: المحاولات الفرنسية الأولى لاحتلال الأغواط:

1. التعريف بابن ناصر بن شهرة:

ينسب ابن الناصر ابن شهرة ابن فرحات إلى عشيرة الارباع؛ حيث ينحدر من عرش عيسى من فرقة المعامرة المنتمة بدورها الى قبيلة الارباع. وقد ولد بقرية المخرق (بلدية ابن ناصر ابن شهرة حالياً) قرب الاغواط على الأرجح سنة 1804م.

تولى أبوه وجدته قيادة الارباع ويقال: أن أصل عائلة ابن شهرة من ساقية الحمراء جنوب الاطلس الصغير على المحيط الاطلسي ومن هنا هاجر أجداده الى الجزائر

في صغره حفظ القرآن، وعندما كبر انتمى الى الطريقة القادرية فتعلم على يد مشايخها مبادئ الفقه، ارتبط ناصر ابن شهرة بالشيخ أحمد الشاوي بالأغواط مما جعله خصما للطريقة التيجانية كما كان أبوه وجده.

تزوج بابنة أحمد ابن سالم سلطان مدينة الاغواط قبل الاحتلال الفرنسي لها، أنجبت له بنتا لكن طلقها بعد رفضها للذهاب معه الى الصحراء بعد احتلال مدينة الاغواط.

انتقل سنة 1851م الى الصحراء واتصل بسطان ورقلة وهو من قبيلة المخادمة واتفق معه على القيام بالكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي، وقد تزوج من ابنته الياقوت فأنجبت له ولدين هما محمد وابن شهرة ، توفيت أمهما الياقوت، فتزوج مرة أخرى بالمرابطة نوبه أخت السيد مولاي عبد القادر الادريسي، فأنجبت له ولدين فرحات و يحي وثلاث بنات .

يقال أن ابن ناصر ابن شهرة كان أشقر اللون أحمر الشعر كثيف شعر الحاجبين، ماهرا في الرامية فيصيب المرمى سواء من أمامه أو خلفه، يلبس برنوساً من الصوف، يحتذي حذاءً طويلاً ، كان إذا حمى وطيس الحرب ثلثم بلثامه، وقد كان مطالعاً على خفايا الصحراء حتى قال فيه رين : "كان ابن ناصر ابن شهرة الملاح الحقيقي للأرض" ،وقد كان أنصاره من أقاربه وبنو عمه المعامرة والحجاج وأكثرهم من قبيلة الحرازية ، شارك مع مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة و مقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864م ومقاومة بوشوشة سنة 1870 والمقراني والحداد سنة 1871م كما أنه حمل بنفسه لواء مقاومة المستعمر الفرنسي في مدينة الاغواط سنة 1852م .

كانت اخر أيام مقاومته وهو القيام ببعض المناوشات على حدود الجريد ونفزاوة بتونس ، وبتاريخ 29 جوان 1875م أرغمه باي تونس على الرحيل تحت الضغوط الفرنسية، فسار الى بيروت ومنها الى دمشق حيث التحق بالأمرير عبد القادر فتكونت بينهما علاقة صداقة ، توفي ابن ناصر ابن شهرة 1884م ودفن بدمشق وقد ترك زوجته نوبه وعمها 30 سنة وولدان فرحات

12 سنة ، يحيى 05 سنوات، وقد تكفل أبناء الامير عبد القادر بعائلته الى أن قرروا الرجوع الى الجزائر 1886م، وقد وصلت هذه العائلة الى الجزائر بتاريخ 19 ماي 1888م.

2-الصراعات الداخلية في الاغواط قبل الاحتلال الفرنسي:

دخلت الجزائر في السنوات الاولى من الاحتلال الفرنسي فوضى و اضطرابات و عرفت العديد من النواحي خاصة الجهات الصحراوية أحداثا خطيرة كالصراعات الداخلية من بين هذه الجهات هي مدينة الاغواط، حصل في هذه المدينة مشاكل عديدة منها الاعتراض الحاج العربي على أحمد ابن سالم حول حيازة بعض الملكيات العقارية ، أدى ذلك الى طرد الحاج العربي من الاغواط ، كان لهذه القضية الوقع لدى الاغواطيين، صادف هذه القضية زيارة الامير عبد القادر لنواحي الجنوبية لدولته ، فوفدت عليه وفود الأغواطيين لإخباره بأحوال البلاد، وطلبوا منه أن يولي عليهم من يضبط البلاد فوقع الاختيار على الحاج العربي فعينه الامير عبد القادر في منصب خليفة على قبائل الغرابة و الشراقة و كتب له مرسوم التعيين وطلب من الرعية وجوب طاعته ولزوم اتباعه وبذلك أصبح الحاج العربي الحاكم الشرعي لهذه المناطق الصحراوية وولي أمر الناس بها نظرا للظروف الصعبة التي تمر بها البلاد .

جمع خليفة الجديد قوم الاحرار و أولاد خليف و أولاد شايب و الأغا جلول والأغا جبال العمور بقرية سيدي بوزيد الواقعة على سفح جبال عمور كما وصله ولاء مرابط عين ماضي الشيخ سي محمد الصغير وأخبرهم بأنه الخليفة الشرعي و طلب منهم المساعدة و الطاعة لأن البلاد تعيش تطورات حرجة جراء الاحتلال الفرنسي، تحرك الحاج العربي الى الاغواط ليقدم إليه الناس البيعة ، وقد انضم إليه أناس كثيرون ، تخوف أحمد ابن سالم من انتقام الحاكم الجديد فانسحب الى صهره ابن ناصر ابن شهرة، بعد فترة من بقاءه عند صهره قرر ابتعاد حتى يطمئن على سلامته فتحول الى غرداية ليحتمي بسكان بني يزقن.

خلال 1838 م عزم الامير عبد القادر على تنظيم دولته لمواصلة الجهاد و أدرك جيدا أهمية الصحراء بالنسبة للكفاح باعتبارها نقطة ارتكاز للمقاومة فضلا عن كونها موردا هاما من الذخيرة

و الرجال لهذا حرص على إدخالها تحت نفوذه، لكنه وجد معارضة من طرف بعض أعيان الاغواط الغرابية ، منهم سي محمد الصغير التيجاني لقد اغتر هذا الاخير بقوته المتوغلة في الصحراء البعيدة عن نفوذ الامير عبد القادر فلم يمتثل لأوامر الامير عبد القادر عندها تحرك هذا الاخير في 12 جوان 1838م وتوجه الى عين ماضي على رأس جيش قوامه ستة آلاف خيالة و ثلاث آلاف من فرسان و ثلاث مدافع ميدان وستة مدافع هاون ، وبعد عشرة أيام من السير الشاق و صل جيش الامير عبد القادر الى حصن عين ماضي فتفاجأ الشيخ التيجاني بوصول الامير عبد القادر الى أسوار المدينة و اندهش لضخامة هذه القوات المحتشدة خاصة أنه لم يكن مستعدا للمواجهة و لا يملك سوى حوالي سبعمائة وعشر ، منها مائة وستة وستون من أولاد سرقين تحت قيادة يحيى بن سالم ومائة وسبعون من قرية أولاد صالح (الارباع) وسبعة عشر من قرية غيشة وعشرون من تاجموت واثنان وعشرون من الحوتية وخمسة عشر آخرين من الاجانب كالزنج و اليهود وغيرهم .

حاول الشيخ التيجاني أن يربح بعض الوقت من خلال بعض المناوشات الليلية التي تعرقل من تقدم الامير عبد القادر، وفي 15 جوان تحدى الامير عبد القادر خصمه الشيخ التيجاني وطلب منه المبارزة أمام الجيوش ،ونتيجة هذه المبارزة تحدد مصير عين ماضي إلا أن الشيخ التيجاني رفض هذا التحدي لذلك استمرت الاشتباكات وطال الحصار لعدة أشهر، حرص الامير على إحكام هذا الحصار وذلك نظرا لتخوفه من وقوع عين ماضي في يد الفرنسيين ، و إذا رفع الحصار أيضا فانه يعلن فشله أمام الشيخ التيجاني عندها فان جميع المناطق الصحراوية ستفلت من قبضته وتتمرد عن سلطته ،علمت سلطات الفرنسية بالخصام الواقع بين الامير عبد القادر و الشيخ التيجاني فاغتنمت الفرصة لتلين موقف الامير عبد القادر تجاه معاهدة تافنة عندها قام بتنازل على بعض بنودها ،فقام الفرنسيون بعدها بتقديم ثلاث مدافع مع ذخيرتهم للامير عبد القادر ، دعمت هذه الهدنة قوة الامير وجعلته يفوز على الشيخ التيجاني ، مما جعل هذا الاخير يوقع معاهدة الاستسلام .

في 22 نوفمبر 1838 م وقعت معاهدة بين الطرفين، تعهد فيها التيجاني بالجلء عن عين ماضي حسب الشروط التالية :

أولها : أن يدفع التيجاني مصاريف الحصار

ثانيا : أن يكون مجبورا على إخلاء المدينة برهة ثلاثين يوما

ثالثا : أن يكون له حق بأخذ جميع أموال المنقولة بلا استثناء

رابعا : لأهل المدينة حق بمرافقة التيجاني بأسلحتهم

خامسا : أن يرفع الحصار عنهم ويرجع ثمانية أميلا عن المدينة حتى تخلى

سادسا : أن يكون عند الامير ابن التيجاني الى اتمام المعاهدة

وافق الشيخ التيجاني عن تلك الشروط و أمضى المعاهدة ، عندما انتهت المدة المحددة خرج

الشيخ بأهله وجنوده و حشوده فلم يبقى في الحصن إلا المستضعفون .

لما لحق التيجاني بالأغواط الغرابة أمر الامير عبد القادر بتدمير حصون المدينة وتسويتهم، ثم

حث الامير أهل الاغواط على الطاعة، بعدها عاد الى معسكر.

ترك الامير عبد القادر سلطة مدينة الاغواط الى الحاج العربي، لكنه لم يصمد أمام دسائس

أعدائه خاصة بعد تحالف الشيخ التيجاني مع أحمد ابن سالم، اللذين عملا على تحطيم نفوده حتى

أرغم على مغادرة الاغواط والفرار بجلده، مما جعل الامير يعزله ويعوضه بشخصية أخرى مرموقة من

تاكدامت وهو السيد عبد الباقي.

تقدم الخليفة الجديد أمام الاغواط بقوة تقدر بسبعمائة رجل معززين بقطعة مدفعية لكنه

لم يحظ بقبول الجميع إلا أنه استطاع الدخول الى مدينة الاغواط و السيطرة عليها ، بعد أن بسط

نفوده على المنطقة أمره الامير عبد القادر أن يجمع أعيان مدينة الاغواط و يعدمهم أو يبعثهم إليه

ليقتص أمرهم ، رغم نصائح مساعديه بعدم القيام بهذا الامر إلا أن الخليفة الجديد عزم على القيام

بهذا الامر الخطير و قد كان من بين هؤلاء الاعيان أحمد ابن سالم و يحيي معمر و حوالي عشر

شخصيات أخرى ، لما علم بني الاغواط بذلك اشتاطوا غضبا وخرجوا في مظاهرة صاحبة قتلوا

فيها عدد من الجنود الذين اعترضوا طريقهم وفر الباقون بحثا عن النجاة أما الخليفة الجديد أسرع الى إطلاق سراح المعتقلين ليخفف من حدة غضب الاغواطيين التي هاجمت منزله ، غنم بنو الاغواط ذخائر الخليفة منها المدافع التي تركت في المدينة وقد حصل كل هذا في سنة 1839م .

لم يهتم الامير كثيرا بهذه القضية لأنه كان منشغلا بالجهاد ضد المحتلين الفرنسيين، لهذا لم يعين الامير خليفة الآخر على الاغواطيين، فبقي المنصب شاغرا حتى أسند الخلافة مرة أخرى الى الحاج العربي، الذي واصل الصراع مع خصومه وخاصة مع أحمد ابن سالم الذي استطاع في الاخير أن يحرز النصر على الحاج العربي ويقبض عليه في قصر الحيران ثم بعدها يعدمه ليقتضي نهائيا على نفود الأمير عبد القادر في المنطقة وهذا خلال سنة 1842م.

أصبح أحمد ابن سالم السيد الاول في الاغواط بدون منازع بعد أن أزاح من طريقه جميع منافسيه ومن أجل المحافظة على مركزه وعدم السماح للأمير من الانتقام، عمل على استمالة الفرنسيين ليضع نفسه تحت حمايتها وقد استجابت له مصالح الاحتلال بسرعة لأنها تبحث دائما عن مساعدة محلية لتحقيق أهدافها التوسعية في المنطقة.

3 - الاحتلال الفرنسي لمدينة الاغواط:

بعد احتلال المدينة ترددت فرنسا في الهجوم على الاغواط واحتلالها، وبعد أن حدث خلاف داخلي في المدينة انتهز الفرنسيون هذا وقاموا بدخولها بقيادة ماري مونج Marie (Mange) سنة 1844م، إلا أنهم يكتفوا بما طويلا لكنهم تركوا 100 جندي.

لكن سرعان ما انتبه الاغواطيون لخطر الانقسام، فاتحدوا وانقضوا ذات ليلة على هؤلاء الجنود، وقضوا عليهم ولم يبق منهم إلا ثلاث جنود وضابطهم. بعد هذه الحادثة استعادت المنطقة استقلالها، لكن فرنسا ظلت بعد هذه الحادثة تخطط مرة أخرى لاحتلال الاغواط نهائيا و استمر هذا الاعداد والتخطيط لاحتلال هذه المنطقة مدة سبع سنوات كاملة و في فيفري 1852م أمر الجنرال العام رندون (Randon) والجنرال لادميرول (Ladmiraut) بالسير الى الاغواط في

تعداد جيش يبلغ 1500 جندي، الذي انطلق من المدينة ووصل الى الجلفة في جوان 1851م وكان وصوله الى أسوار مدينة الاغواط في 4 مارس 1852م ، فاتصلوا بأحمد بن سالم الذي تلقى التعليمات الازمة لحراسة الاغواط ، ثم بعدها وصلوا غاية قصر الحيران دون مواجهة ، حيث ثبت فيها فرقة من الجيش إلا أن فرنسا بقيت متخوفة من رد فعل أهالي المدينة حتى أنهم قاموا باستخدام وحدة من الجيش الموجودة بتيارت بقيادة الجنرال ديليني (Dèligny) لتدعيم قوتهم.

ولما دخل الشريف محمد بن عبد الله الى الاغواط وقام بحشد الناس ثم بعدها التحق بابن الناصر ابن شهرة ، أثار هذا الحشد تخوفات الفرنسيين ولهذا أوكلت للضابط كولينو (Collineau) مهمة تجميع فرق الجيش و استعداد للمواجهة ، كما لم ينقطع الشريف ابن عبدالله عن التردد الى الاغواط بهدف توعية سكانها ، فلما علم الجنرال يوسف (Yousef) الذي تربى في تونس ويتكلم اللغة العربية جيدا وجعل منه الفرنسيون مترجمان رغم أنه ضابط برتبة جنرال وكان يقيم قبل معركة الاغواط في الجلفة وقد وُضف هذا الاخير كل الأساليب لاستمالة أهل الاغواط مقابل حياة الشريف بن عبدالله لكنه فشل في ذلك وعليه قرر الحاكم العام في 22 فيفري 1852م التدخل العسكري بضرب الاغواط و اخضاعها و قد جند لذلك خمسة طوابير يقرر أوامرها الجنرال بيليسيه (Pèlisser) كانت هذه الاستعدادات توشي باقتراب موعد شن الحرب .

كانت مدينة الاغواط تشكل بوابة الصحراء واحتلالها يمهد الى الاحتلال الصحراء كما انها مركز لتموين الجيش و إيوائه كل هذه العوامل كانت تدركها السلطات الفرنسية و عليه فان الجيش الفرنسي لم يستطع ان يسطر عليها الا بعد ان أحاطت قواتها كل جوانبها و قد كانت موزعة كما يلي:

من الشمال الجنرال يوسف، ومن الشمال الغربي العقيد تروملي conlonel (Trunelet)، ومن الغرب الجنرال بيليسيه ، ومن الجنوب الغربي الجنرال بوسكارين conlonel (Bouscarn) ومن الجنوب الشرقي العقيد بان conlonel (Bin) ومن

الشرق الرائد موران (conlonelMarod)) ، عندها سقطت مدينة الاغواط في 4 ديسمبر 1852م نهائيا بعد مقاومة شرسة وقوية تحت قيادة الثائر ابن ناصر بن شهرة.

2-ثورة بن ناصر بن شهرة في الاغواط:

بدأ المشوار الجهادي للبطل بن الناصر بن شهرة كما نعلم منذ اعتلائه قياد الارباع 1846م حيث كان يرفض التعامل مع الاستعمار رغم العروض المغربية التي كان القائد العام لمنطقة المدينة الجنرال لاميرول يعرضها عليه مقابل انضوائه تحت راية الفرنسيين وكان آخر هذه العروض تلك حملها إليه الملازم كاروس بتاريخ 5 سبتمبر 1851م ، لان هذا الاخير زعم أنه صديق الارباع وله تأثير كبير عليهم لمعرفة بهم الطويلة غير أن ناصر وأخاه أبوبكر قد أعدا له كميناً محكماً ليبرهن على قدرته القتالية، فجرد المبعوث الفرنسي كاروس وجنود الصباحية من أسلحتهم و أطلق سراحهم.

بداية الثورة في مدينة الاغواط

رجع بن ناصر بن شهرة الى الاغواط بعدما كان في التل لشراء بعض الحبوب مثل عادة الاباع و القبائل الاخرى و استولى على قصر حيران وحصنها فاتصل به السكان من كل جهة خاصة أعيان المدينة لتعاون معه كما اتصل مع الشريف ابن عبد الله لتعاون معه و تفاهما على العمل المنسق و المشترك وقد كان هذا في شهر نوفمبر 1851م وعلى إثر هذا امر الجنرال راندون يوم 7 فيفري 1852م الجنرال لادميرول بتشكيل طابور متنقل فاستدعى الفرق العسكرية للقوم بتيطري والتل وشكل 1500 فارس وفي 22 فيفري

تحرك طابور متكون من عدة سرايا الى الاغواط واتبعت الطريق الذي سلكه الجنرال مونج 1844 ووصلت هذه القوة في 9 مارس 1852 م ولما علم الجنرال لادميرال بقوة ومناعة ابن ناصر ابن شهرة في قصر الحيران و اكتفى بمراسلته من تحت أسوار مدينة الاغواط وكانت تلك

المرسلات تحمل نوعا من التردد، لكن بن شهرة رفض كل المقترحات فرجعت القوات الفرنسية بتاريخ 2 ماي 1852م الى المدينة لتجهز نفسها أكثر لاحتلال الاغواط في 22 ماي حاول كولينو توجيه ضربة جريئة لناصر ابن شهرة لكن حنكة هذا الاخير كبدت الفرنسيين خسائر كبيرة دخل ابن ناصر بن شهر قصر الحيران في 31 جويلية 1852 م واستقبل الاستقبال الابطال من قبل اهلها وقام بتحسين المدينة وفي 24 سبتمبر وصل يحي بن معمر رفقة وفد عظيم الى الاغواط الذين قاموا برفض الحامية العسكرية المتواجدة بالأغواط وأيدوا سياسية بن ناصر بن شهرة الثورية.

وبعد ذلك لما علم الجنرال يوسف بقدوم قوة ابن ناصر ومحمد بن عبدالله اتجاه الاغواط سار جنوبا على رأس قوة كبيرة لصددهم عنها فبعث برسائل الى سكان الاغواط يحثهم على عدم استقبال المقاومين لكن محاولته بأث بالفشل بعد هذه الحملة أرسل ابن ناصر سي النعيمي رفقة محمد بن عبدالله نحو المناطق الشمالية في اتجاه جبال العمور لجمع أكبر عدد من الثوار، بعد وصول هؤلاء الثوار و المؤون قام سكان مدينة الاغواط بمحاصرة الجنود الفرنسية فيها بتاريخ 31 أكتوبر 1852م وعلى رأسهم الملازم بن حميدة فجردوهم من أسلحتهم و طردوهم .

أصبح الوضع مقلقا بالنسبة للوجود الفرنسي في هذه المناطق فقام الحاكم العام بتزويد قوات الجنرال يوسف سريتين من القناصة و سريتين من الصباحية و كتبية من الرماة و كلفه بتعقب المقاومين ابن الناصر و الشريف بن عبد الله حاولت السلطات الفرنسية الضغط على مقاومين من خلال محاصرتهم عندها توجه الجنرال بيليسي قائد مقاطعة وهران رفقة الجنرال بوسكارين الى البيض ، وقاما ببناء مركز قيادة هناك يؤمن المؤونة للعمليات العسكرية في الجنوب في هذه اثناء كانت وفود المقاومين تصل الى مقر القائد بن شهرة في قصر الحيران ، حاول جنرال يوسف قطع الطريق على هذه وفود كما ذكرنا سابقا ، عسكر في ميروسة على بعد 15 ميل من قوات بن ناصر ابن شهرة في 18 نوفمبر 1852م ، قرر الناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله الزحف بقوة على موقع العدو حيث جرت معركة من أكبر المعارك التي شهدتها المنطقة يوم 21 نوفمبر

1852م تكبدت فيها فرنسا خسائر كبيرة مما اضطر بالجنرال يوسف أن ينسحب الى قصر العسافية في حين دخل الثوار الى مدينة الاغواط التي قاموا بعد ذلك بتحصينها و تحضير للمواجهة الحاسمة مع الاستعمار .

في يوم 26 نوفمبر علم جنرال بيلسي أن الثوار قد اعتصموا بالاغواط فاتجه في 1 ديسمبر وخيم في الحوتية لتنظيم صفوف الجيش وتقسيمه الى قسمين ، توجه بيليسه بالقسم الاول الى الاغواط في 22 ديسمبر على الساعة 5 صباحا ، أما القسم الثاني فقد قاده الجنرال بوسكارين انطلق هذا الاخير على ساعة 6 صباحا ووصل الى مشارف مدينة الاغواط ، وفي 3 2 ديسمبر وقعت بين الطرفين معركة طرفين حول الاحتلال مناطق الاستراتيجية في المنطقة كتلال محاطة بالمنطقة وربوة مسجد الحاج عيسى ، كلف هذا الفرنسيين خسائر فادحة في صفوف جيشها ، اما في مساء هذا اليوم استطاعت القوات الفرنسية محاصرة مدينة الاغواط من كل الجهات بعدها بدأت هذه القوات تقتحم المدينة ومنازلها ، بعدها تم الاحتلال المدينة بعد ضربها بالمدفعية وقام الجنرال بيليسي بتعين العقيد كلارا قائد على مدينة الاغواط ليشرع في ترتيب أمورها بعدها انسحب بن ناصر بن شهرة و الشريف بن عبد الله من المدينة الى مدينة ورقلة

نستنج مما سبق : أن الاحتلال الفرنسي للاغواط كان عبر تخطيط استغرق مدة سبع سنوات حتى استطاع الاحتلال السيطرة على هذه المدينة التي تعتبر بوابة الرئيسية للاحتلال الجنوب.

سقطت مدينة الاغواط في يد الفرنسيين في 23 ديسمبر 1852 م بعد مقاومة شرسة من طرف بن ناصر بن شهرة و ثوار التابعين له تعد ثورة بن ناصر بن شهرة هي اليد الوحيدة التي استطاعت أن تمنع الفرنسيين من التغول الى جميع نواحي مدينة الاغواط.

يظهر جليا لدينا دور الشريف بن عبد الله في ثورة بن ناصر بن شهرة في الاغواط حتى انتهت هذه الثورة

عندما احتلت الاغواط نهائيا وفشلت ثورة بن ناصر بن شهرة اتجه هذا الاخير مع الشريف محمد بن عبد الله الى ورقلة وهنا ستبدأ مرحلة جديدة من حياة هذا الرجل.

ثالثا: ثورة الناصر بن شهرة بعد سقوط الأغواط:

بدأ ابن ناصر بن شهرة نائرا منذ أواخر سنة 1846 كان يحث سكان الصحراء على الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي وكان لا يترك فرصة إلا واستغلها، ولم يفت في عضده سقوط الأغواط في 4 ديسمبر 1854، بل واصل حركته الجهادية من خلال المشاركة في عدة ثورات عاصرها مثل ثورة الشريف بن عبد الله الذي كان ملازما له، كما شارك أيضا في صفوف الثائرين من أولاد سيدي الشيخ ويعد بطلا من أبطال مقاومة بوشوشة وثورة المقراني وقد وصفه الفرنسيون بالمتعصب والعدواني الذي لا يلين من خلال هذا فيما يمثل دور بن ناصر بن شهرة في هذه ثورات؟.

1- مشاركته مع ثورتي الشريف بن عبد الله وأولاد سيد الشيخ

أ- ثورة الشريف بن عبد الله 1851 - 1861:

كانت مشاركة ابن ناصر ابن شهرة في مقاومة الشريف عبد الله كان لها دور كبير في تدعيم هذه الانتفاضة و ضمان استمراريتها مدو أطوال من الزمن فمحمد بن عبد الله وجد في ابن ناصر نعم الرفيق والسند في الكفاح بالمعارك التي خاضها معه كثيرة جدا في الصحراء إن اتصال ابن ناصر ابن شهرة بشريف ورقلة محمد بن عبد الله في خريف سنة 1851 يعتبر بمثابة ثورة جميع السكان شمال الشرقي، بحيث لا تكاد انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة تنفصل عن انتفاضة الشريف محمد بن عبد الله حيث كان في اغلب فترات الثورة متلازمين وذلك لأنهما أعلنوا الجهاد في نفس الوقت تقريبا فبعد أول عملية للشريف محمد بن عبد الله للسيطرة على تقرت في 1851 رجع هذا الاخير الى ورقلة مركزه الرئيسي و هناك اتصال بابن ناصر بن شهرة بدأ العمل معا .

وكان أول معركة مع الشريف هي الهجوم على دوار ساعد بن سالم في أولاد نايل والاستعداد للسيطرة على مدينة بريان فاقتربا من متليلي وعسكر جنوبها وقام ببعض المناوشات

الصغيرة، مكث ابن شهرة والشريف بعض الوقت بورقلة ثم بعدها توجهها في شهر فيفري 1852 نحو الشمال فاعترضهما زعيم من اولاد نايل الاغا الشريف بالأحرش الى جانب أحد أبناء أحمد بن سالم (خليفة الاغواط) في جبال العمور حيث حصلت معركة بينهم انسحبا على إثرها الى الجنوب حيث اغار على بعض المدن الميزابية.

وفي شهر مارس حاولا الدخول الى الاغواط لكنهما فشلا بسبب وصول قوات فرنسية اليها بقيادة الجنرال لادميرول فاتجها غربا الى واد زرقون بجمع المؤونة الجند ومنها الى ورقاة وقادا الاول مرة معركة كبيرة ضد القوات الفرنسية في 22 ماي 1852 بمنطقة الزاب ويسمىها الفرنسيون بعملية الكومندان كولينو حيث زحف الاثنان من ورقلة فسيطر على نقوسة دون مقاومة ، ومنها وصلا الى الجنوب وبالضبط الى الرويسات أين تم عقد مجلس حرب وصفت فيه خطة حرب جديدة تتلاءم مع المستجدات وكان ذلك بين شهر جوان وجويلية 1852 واتفقا على جعل مدينة الاغواط قاعدة أمامية لمختلف عملياتهم فحاولا السيطرة عليها وكانت تلك في سبتمبر من نفس السنة لكن الجنرال يوسف صدهم عنها.

ولما بدأ خطرهما ظاهر للقوات الفرنسية عازمت هذه الاخيرة على ملاحقتهم فقام الجنرال راندون بتعيين ثلاث جنرالات لهذه المقاومة هم الجنرال يوسفالذي تمركز بقواته في الجلفة منذ 1852 ولكن الجنرال بيليسي الذي تمركز بقواته بالبيض و الجنرال مكماهون الذي كلف بحماية منطقة بسكرة وقسنطينة و الواحات الشرقية وكل تلك القوات تشكل حزاما لكي لا يتوسع ابن ناصر ابن شهرة و الشريف محمد بن عبد الله نحو الشمال وخلال شهر نوفمبر خاض الاثنان معركة كبيرة قرب غدير مزي ضد الفرنسيين حيث قتلا منهم حوالي 200 جندي .

وانتصر انتصارا ساحقا ودخلا الاغواط وواستقبلا استقبال الابطال ،وعلى الفور قاما بتحسين المدينة تحسبا لهجوم محتمل و ابتداء من 21 نوفمبر الى غاية 4 ديسمبر 1852 قام بالدفاع عن مدينة الاغواط فخلال 12 يوما أبليا بلاء حسن لصد الفرنسيين عنها حتى انهكت قواتهما نظرا لعدم تكافؤ القوتين وقد جرح الشريف بن عبد الله في تلك المعارك فنقله ابن ناصر

ابن شهرة الى ورقلة حيث تماثل بشفاء، ثم عاودا نشاطهما ابتداء من شهر فيفري 1853 فحرض الفرنسيون ضدها الخليفة العميل حمزة ولد سيدي الشيخ واغا اولاد نايل الشريف بالاحرش لكن لم ينالا منها شيئا، وفي تاجرونة غربي الاغواط انضم لهما سي النعيمي الذي كان ناقما على العميل حمزة وقد حاولا الثلاثة الدخول الى الاغواط 14 وفي سبتمبر 1853 وفي الطريق اليهما خاضوا العديد من المعارك لكسب الانصار وجمع المؤن وكسر شوكة الموالين لفرنسا الا ان القوات الفرنسية عازمت على قبض عليهم فجندت القوات كبيرة بقيادة العميل حمزة ولد سيدي الشيخ توجهت من البيض يوم 03 نوفمبر وقدرت بحوالي 2000 رجل مدعمة بقوات أخرى يقودها كل من دوريو بارال نيقوا لاحقت بقوات الشريف محمد بن عبد الله و ابن ناصر ابن شهرة في عدة مناطق وشهدت كل من بريزينة ونقوسة والرويسات عدة معارك انهزم فيها الشريف محمد بن عبد الله وجرح القائد ابن شهرة فانسحبا الى واد ريغ ومكث هناك مدة من الزمن ومنها انتقل الى الجريد وتوزر ونقطة بتونس .

طيلة فترة بقائهم في تونس قاما بمناوشات مستمرة على الحدود ضد القوات الفرنسية فانزعجت السلطات التونسية لذلك أصدرت أمراً بطرد الشريف محمد بن عبد الله من تونس فعاد رفقة ابن ناصر ابن شهرة في سبتمبر 1854 واتجه نحو ورقلة لكنهما لم يستطيعا الدخول بسبب منع حاكمها سي الزبير ولد سيدي الشيخ لهما فانسحبا الى واد ريغ وهناك كانت الحملة الفرنسية ضد تقرت قد أعدت بقيادة مارميه ديفوا وبان وجرت معركة كبيرة في المقارين في 29 نوفمبر 1854، وعلى اثر المعركة انسحبا مرة اخرى الى الجريد التونسي ومكثا هناك 4 سنوات حتى 1859 ثم اصدار طردهما من طرف السلطات التونسية فعادا الى الجزائر ووصلا الى ورقلة، فوقعت معركة بينهما وبين الباشاغا سي بوبكر بن حمزة ولد سيدي الشيخ في نقوسة واعتقل فيها الشريف وأخذ أسيرا في 1861 لكن ابن شهرة انتقل مرة الاخرى الى تونس .

(ب) - مع ثورة اولاد سيدي الشيخ 1864-1869

بعد اعتقال الشريف محمد بن عبد الله 1861 دخل ابن شهرة التراب التونسي ، لكنه رجع في 1864 الى الجزائر متخفيا وذلك بعد اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ عندما دخل ابن شهرة ورقلة ووصل الى مركز القائد سي سليمان بقرية الحاج الدين قرب بريزينة في حدود شهر مارس 1864 على رأس الأرباع ،وقد شارك معه في المعركة عوينت بوبكر قرب البيض في 8 أبريل 1864، حيث شرعت السلطات الفرنسية في اتخاذ اجراءات لمواجهة سي سليمان حيث وصل الضابط بوبريتير الى هضبة عوينت بوبكر شرق مدينة البيض فجأته قوات المقاومة في تلك المنطقة بقوة تقدر بثلاثة آلاف رجل ،أبادوا كتيبة بأكملها وقد استشهد قائد الثورة سي سليمان و تمت مبايعة سي محمد ولد حمزة قائدا جديدا للثورة وكلف ابن شهرة بالتوجه الى جبال العمور من اجل جمع المؤن و الانصار والحث على الجهاد وبعدها التقى بسي الاعلى في طاقين في 06 أوت 1864 حيث كان هذا الاخير على رأس 1500 رجل واتجه الاثنان نحو الشمال بالضبط الى عين وسارة وبوغار وانضم اليهما ثوار اخرين من الاغواط وجبال العمور وسكان بوغار فسيطر على معسكر وعين وسارة ،وهددوا بذلك مركز القيادة الفرنسية بالجلفة عندها وجهت فرنسا قوات بقيادة الضابط أرشينار،وقد تمت ايضا اعادة الجنرال يوسف الى منصبه كقائد لمركز القيادة بالجلفة لمواجهة هذه المقاومة إلا ان رد الثوار كان عنيفا فهاجموا قوات القائد لبيير في 9 سبتمبر من نفس السنة ثم انسحبوا الى منطقة أفلوا وقاموا بالإرسال الرسائل من اجل جمع الانصار والمؤن والدخائر وكان لابن شهرة دور كبير في تأييد قبائل الارباع والاعواط ومناطق ثورة اولاد سيدي الشيخ لاشتراكهم في العديد من المعارك في تلك المناطق.

بعدها التحق ابن شهرة رفقة سي الاعلى في 29 سبتمبر 1864 بأنصارهما وحاولت القوات الفرنسية القبض عليهما في 30 سبتمبر 1864 لكنهما انسحبا بعد المناوشات التي جرت بينهما حتى تاريخ 02 أكتوبر و بعدها انسحبا الى التل الوهراني وهددوا حوض مقرة و الضاية واصطدموا بالقوات الفرنسية التي جاءت لتقطع عليهم الطريق في تيطن يحي وقرية سيدي علي بن أيوب وبعدها اتجها ابن ناصر ابن شهرة رفقة سي الاعلى الى بقيرة ثم الى عين تاقوراية جنوب الضاية ثم الى ابار الحمام وسيدي الخليفة وذلك في شهر أكتوبر 1864،وقد لاحقتهم قوات

القائد بيشو وليبير لذلك توجهها الى واد النسا جنوب بريزينة وفي شهر جانفي 1865 هاجم الثوار قرى العالية والطيبات قرب ورقلة وقد التحق بهم سي الاعلى وابن شهرة حيث التقوا جميعا في حفرة الشاوش وانفقوا على استعادة ورقلة لكن علمت القوات الفرنسية فكلفت الضابطين سيروكا وفورجيمول بملاحقتهما في 31 جانفي، وانسحب ابن شهرة وسي الاعلى الى بوجديان جنوب شرق ورقلة في 02 فيفري 1862م كما حاول البعض قطع الطريق على الثوار ومنهم بولخراس بن قانة وعلي باي لكن حنكة سي الاعلى وابن شهرة أفشلت خطتهم وسار الاثنان بقوتهما باتجاه الغرب بعد ما وصلتهم الاخبار مقتل سي محمد زعيم ثورة أولاد سيدي الشيخ في الناحية الغربية .

ومن أبرز المعارك التي خاضها سي الاعلى وابن شهرة في الناحية الغربية معركة خنقة سوز قرب الغاسول (ناحية البيض) في شهر مارس 1856 ومعركة واد ديغم قرب الشلالة في 8 أبريل من نفس السنة كما نصبوا كمينا لقوات الضابط كولمب في خنقة مراد بالشلالة وعين النعجة وخاضوا معركة عين تازينة يوم 9 أبريل ضد القوات التي لاحقتهم .

وفي خريف 1866 انتقل سي الاعلى ورجاله الى الجنوب منطقة سبدو وعسكر في واد مقرة قرب سيدي بلعباس بتاريخ 19 أكتوبر وكان معه حوالي 2000 رجل مسلح ومنها انتقل الى عين ماضي (مقر الزاوية التيجانية) ومناطق الارباع، وفي هذا الوقت انتقل ابن ناصر ابن شهرة بدوره رفقة أحد الثوار يدعى بوديسة الى الشمال الغربي من البيض وتمكن من كسب تأييد السكان تسيين وأولاد طيفور وتعاونوا مع ثوار أولاد سيدي الشيخ، ولم ينتقل ابن شهرة والاغا النعيمي ولد الجديد و ابراهيم ابن عبد الله قائد السوامة الى منطقة ورقلة في بداية 1866 حيث جرت معركة في بئر روى جنوب ورقلة أواخر شهر مارس وأوائل شهر أبريل ضد قوات علي باي الموالي للفرنسيين فوقع ابراهيم ابن عبد الله في الأسر وهو كان يتزعم الثورة في منطقة بوسعادة .

أما ابن شهرة، وسي النعيمي و رفقاتهما سي الزبير وابن اخيه سي أحمد بن حمزة من أولاد سيدي الشيخ ، فقد انتقلوا الى المنيعه، ومنها الى عين صالح لتجنيد المجاهدين، ، وخلال شهر

جانفي 1869 انتقل سي الاعلى رفقة ابن شهرة الى عين ماضي و أعلن سكانها الثورة مما أدى بالقوات الفرنسية المتمركزة بالأغواط إلى توجيه جيش كبير بقيادة العقيد دي سوني إليها ، و اصطدمت يوم 1 فيفري مع الثوار الذين جمعوا بسرعة فائقة حوالي 3000 فارس و 1000 من المشاة ف وقعت معركة أم ددب بين قصر الحويطة ،وعين ماضي وأعتقل على إثرها شيخ الزاوية التيجانية ، و 18 من أعيان عين ماضي نقلتهم القوات الفرنسية إلى بولوغين بالعاصمة ، ثم نفت الشيخ التيجاني الى المدينة بوردو الفرنسية ، أما الثوار فقد انسحبوا الى بريزينة غربا ثم الابيض سيدي الشيخ بعد ذلك .

وفي تلك الاثناء قام الثائر بوشوشة بالثورة ضد النظام الاستعماري فكان ابن شهرة من أبرز المشاركين فيها.

2- مشاركته في ثورة بوشوشة:

في ربيع 1869 أعلن الثائر محمد بن التومي ابن ابراهيم المدعو بوشوشة ،عن قيام انتفاضته في الصحراء وتجدد تحت لواءه الكثير من سكان الصحراء ،وتوات وشعانة متليلي، وشعانة المواضي بالمنيعه ،التقى ابن شهرة ببوشوشة في المنيعه عندما تم الاستلاء عليها من طرف الفرنسيين في شهر أفريل 1869م. ثم بعدها انتقلوا في 5 ماي الى متليلي ومنها رجعا الى عين صالح حيث هاجما خصومهم المواليين لفرنسا ، في سنة 1870 غادر بوشوشة رفقة ابن شهرة عين صالح متجهين الى الرويسات وكان في نيتهما استعادة تقرت ولكنهما وجد صعوبة في ذلك بسبب وجود عدد من الجنود الرماة بها فاتجها الى واد سوف و ثم بعدها حاولا دخول بلدة نقوسة في 5 ماي 1871 لكنهما منعا ،وبعد ذلك اتجها نحو ورقلة ودخلاها دون مقاومة لوجود المؤيدين لهما فيها ،فعين بوشوشة ابن شهرة اغا عليها واتفق على أن تكون ورقلة أهم قاعدة لهما الى كل الجهات .

سيطر بوشوشة على تقرت في 13 ماي 1871،وعين عليها اغا بوشمال بن قوبي فأصبحت بذلك قاعدة الثانية لحركته بعد ورقلة لكن هذه القاعدة عرفت بعض الاضطرابات خاصة بعدما هددها علي باي الموالي للفرنسيين فاضطر بوشوشة وابن ناصر ابن شهرة الى مهاجمته

فجرت معركة كبيرة يوم 10 جويلية 1871 وقتل فيها عدد كبير وأدت الى انسحاب علي باي الى بسكرة يوم 13 جويلية بعدها عاد بوشوشة رفقة ابن ناصر ابن شهرة الى تفرت ونشطا في الدعوة لثورتها في قرى المنطقة وحاولا الانتقام من أولاد زكري ،الذين تحالفوا مع علي باي في أحداث تفرت بعدها توجه ابن ناصر ابن شهرة مع بعض الشعانبة إلى المهاري وأولاد زربة يوم 20 جويلية على بعد 28 كلم من أولاد جلال ، و هاجموا أولاد الساسي الذين تحالفوا أيضا مع علي باي ،لكن هؤلاء وأولاد زكري نظموا قواتهم واتجهوا في 19 أوت الى واد النسا بين الحجيرة ونقوسة واستعادوا ما أخذ منهم .

كما نشط بوشوشة وابن شهرة في شراء الاسلحة والذخيرة عن طريق تونس خاصة أن ابن شهرة له ذارية كافية بمسالك الطريق لتأمين وصول السلاح وكان اليهود هم أصحاب الصفقات في هذا المجال بالإضافة الى المالطين والإيطاليين، لكن السلطات الفرنسية منعت وصول السلاح الى الثوار عن طريق عملائها اليهود.

بعدها غادر بوشوشة وابن شهرة ورقلة الى نوميرات جنوب غرداية يوم 13 أوت على رأس قوة بلغت 600 فارس من المخادمة وبعض قبائل الصحراء و ثم تعين سي الزبير اغا على ورقلة في مكان ابن شهرة الذي ذهب مع بوشوشة كقائد للفرقة الرابعة من الفرق الخمسة التي شكلها بوشوشة وفي 17 ديسمبر 1871 قصد تنظيم قواته مرة أخرى وظل يكافح معه حتى اخر معركة في 09 جانفي 1872 بعدها تفرق شمل بوشوشة.

بيبلوغرافيا مختارة:

- 7- بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
- 8- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج1، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1992

9- عمراوي احميدة وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916،

دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009

10- فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة

2002.

11- حباش فاطمة: بن الناصر بن شهرة زعيم الوحدة الوطنية جنوبا (1851-

1875م)، في مجلة عصور الجديدة، ع20، 2015، ص ص 298-314.

12- ملاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر 2006.

13- مياسي ابراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه

للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

14- Trumelet Corneille: Les français dans le désert, Challamel Aîné
Éditeur, Paris, 1885.

المحاضرة السادسة

ثورة أولاد سيدي الشيخ

أولاً: أولاد سيدي الشيخ

ثانياً: أسباب الثورة

ثالثاً: أحداث الثورة

أولاً: أولاد سيدي الشيخ

أولاد سيدي الشيخ هي قبيلة عربية بالغرب الجزائري، تتربع على مساحة كبيرة من ولاية البيض، ينتسبون إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. يعود تاريخ دخولهم للمغرب العربي، حسب أغلب الروايات، إلى القرن الرابع عشر الميلادي، حيث دخل أسلافهم الجزائر بقيادة سيدي معمر بن سليمان العالية مع القبائل الهلالية، واستقروا في القطاع الوهراني؛ وامتدت مناطقهم من حدود الشلف إلى البيض وصولاً إلى واحات فجيح بالمغرب الأقصى.

برز من أحفاد سيدي معمر التيمي رجل يدعى سليمان بن أبي سماحة، وظهر بعده حفيده عبد القادر بن محمد المكنى "سيدي الشيخ"، والذي يعتبر المؤسس والموحد الحقيقي لقبيلة أولاد سيدي الشيخ؛ وهي التسمية التي أطلقت على البوبكريين الأجواد من بعده إلى حد الآن.

بعد وفاة والدهم، سنة 1616م، تنازع أولاد سيدي الشيخ فيما بينهم حول الزعامة الدينية والقيادة السياسية؛ فانقسموا إلى قسمين:

- قسم استقر في قصر الأبيض سيدي الشيخ، حول قبر أبيهم بزعامة الابن الثاني الحاج إبي

حفص.

- قسم آخر استقر في الناحية الغربية من القصر، بزعامة الابن الثالث سيدي الحاج عبد الكريم، وعددهم أكبر.

عاش القسم الأول حياة الترحال والبداءة مع العبيد والأتباع والخدم، ثم استقروا في شرق قصر الأبيض سيدي الشيخ، وأسسوا لأنفسهم زاوية خاصة وسموا بأولاد سيدي الشيخ الشراقة، كما أنشأ الفرع الآخر زاوية خاصة بهم أيضا، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الغرابة.

وقد حاولت الإدارة الفرنسية تكريس هذا التقسيم في إطار سياستها الرامية إلى تحطيم نفوذ الأسر الجزائرية الكبيرة؛ ففي خضم حربها مع الأمير عبد القادر عمدت إلى توقيع معاهدة لالة مغنية مع المغرب في 18 مارس 1845م، والتي قسمت قبيلة أولاد سيدي الشيخ إلى فرقتين: أولاد سيدي الشيخ "الشراقة" أو الشرقيين وأصبحوا بموجب الاتفاقية جزائريين. وأولاد سيدي الشيخ "الغرابة" أو الغربيين وأصبحوا بموجب نفس المعاهدة مغاربة.

ثانيا: أسباب الثورة

تعود أسباب انتفاضة أولاد سيد الشيخ إلى عدة عوامل منها:

- سياسة حكومة الجزائر وسياسة المكاتب العربية في المناطق الصحراوية.
- سيطرة الطرق الصوفية التي ساهمت في إذكاء عداة القبائل الجزائرية ضد الفرنسيين.
- تخفيض أعداد الجنود الفرنسيين العاملين في الجزائر
- عدم خبرة الجنود الذين بقوا في الجزائر بسبب الاطمئنان إلى حالة الهدوء والأمن السائدة منذ القضاء على مقاومة الشريف محمد بن عبد الله.

- كما أنّ سياسة السلطات الاستعمارية تجاه العائلة قد ساهمت في تمرد سي سليمان بن حمزة؛ فرغم إظهار والده الخليفة سي حمزة الولاء لفرنسا ووضع نفوذه في خدمتها، إلا أنها لم تطمئن إليه لما له من مكانة بين القبائل الصحراوية، فاستدعته إلى الجزائر العاصمة للتحقيق معه؛ متذرعة بشكاوى بعض سكان المنطقة، غير أنه لقي حتفه يوم 15 أوت 1861م. وادعى الفرنسيون أنّ

زوجته دست له السم، وولت مكانه ابنه الأكبر بوبكر، برتبة "باش آغا" وهي أقل من رتبة خليفة، لكنه سرعان ما قُتل هو الآخر مسموماً من قبل أتباعه في 22 جويلية 1862م. بعد ذلك نصبت فرنسا سي سليمان بن حمزة مكان شقيقه سي بوبكر، وعزلت القائد سي الزبير من آغاوية ورقلة، بذريعة مرضه المزمن، وقامت بتعيين شقيقه سي لعلا بن بوبكر مكانه، وكان هذا الأخير متأكداً من أن وفاة سي حمزة وابنه بوبكر إنما هو عمل دبرته السلطات الفرنسية فأخذ يحرض ابن أخيه سي سليمان.

- أحداثٌ واحة القرارة وتبعاتها على المنطقة.

ثالثاً: أحداث الثورة

بعد الأوامر المهينة التي تلقها سي سليمان لأجل حل تبعات أحداث القرارة، وبعد الآهانة التي تعرض لها كاتبه سي الفضيل وبتحريض من عمه سي لعلا قرر سي سليمان بن حمزة الثورة، وبدأ بالاتصال سرياً بمختلف القبائل عن طريق الخوجة سي الفضيل، بعد أن زوّده برسالة أعلن فيها النفير العام والدعوة إلى الجهاد.

وقبل أن يعلن الثورة، ذهب سي سليمان إلى مقر زاويته بسيدي الحاج الدين، أين أعطى أوامره إلى أفراد عائلته، وكلّ أولاد سيد الشيخ بالتحرك بدايةً من يوم الثلاثاء 16 فيفري 1864 جنوباً نحو متليلي والمنيعة،

لقد سمع نداءً سي سليمان للثورة العديد من القبائل؛ فقد قدمت وحدات من الزوى ومن الأغواط الإكسل ومن الحرار وتجمعوا تحت راية سي سليمان في الحسني قرب متليلي؛ أين احتشد شعابةٌ برزقة وراسلوا آغا ورقلة ليقدّم إليهم.

أما سي لعلا فقد خيم يومي 17-18 فيفري 1864 بواد النومرات، بين متليلي وغرداية، وشرع في جمع المقاتلين والمجاهدين من القبائل والأعراس المتحالفة مع أولاد سيدي الشيخ، فاجتمع في هذا المركز أزيد من ألف فارس حتى نهاية فيفري 1864. وقد دخل سي سليمان بن حمزة

متليلي يوم 23 فيفري، حيث اتخذها قاعدةً عملياتٍ، والتحق به الثائر الناصر بن شهرة، كما التحق به أيضا من أبناء عمومته زعيمُ الصف الغربي الشيخ بن الطيب.

وبعد أن تجمعت هذه القوات الضخمة، أعلن سي سليمان استقالته من منصبه وإعلانه الثورة، وذلك في رسالته إلى حاكم البيض وإلى الوالي العام بالجزائر المؤرخة بتاريخ 16 مارس 1864؛ حيث أوضح فيها أسباب استقالته من منصبه كبشأغا على الصحراء. ومما جاء فيها: "لقد اجتمعت مع كلِّ سكان الجنوب: الخنافسة، المخادمة، المواضي، شعابنة ورقلة، وشعابنة برزقة وآخرين من الذين أعتمد عليهم... كلمتي الأخيرة إليكم، إذا أردتم الخير نحن جاهزون، وإذا أردتم السوء نحن أيضا جاهزون."

وفي الأيام الأولى لشهر أفريل 1864، تحرك جيشُ سي سليمان نحو البيض مارا بوادي زرقون، وقرر الهجوم على مخيم العقيد بوبريتز (Beauprêtre) يوم 8 أفريل 1864 في عوينة بوبكر بالغاسول.

اندلعت المعركة بين الثوار والقوات الفرنسية التي تكبدت خسائر فادحة؛ حيث عمل الثوار في جنود المخيم ذبحا بالسيوف والسكاكين، ولم ينجُ منهم سوى ثلاثة جنود. ودخل سي سليمان خيمة بوبريتز فنطعنه بخنجر، لكنه لم يمت فأطلق على رأسه طلقة من مسدسه، إلا أنّ أحد جنود بوبريتز قتل سي سليمان.

وبعد استشهاد سي سليمان بن حمزة بويح أخوه سي محمد قائداً للثورة، ونظراً لصغر سنه فقد استعان بعميه سي الزبير وسي لعلا، اللذين التقّتا حولهما القبائل المنضوية تحت لواء الثورة. وخاضوا معارك طاحنةً ضد القوات الفرنسية خاصة معركة ابن حطاب يوم 26 أفريل 1864 ضد فيلق الجنرال مارتينو (Martineau) والتي تكبد فيها خسائر جسيمة. وهذا ما جعل الثورة تمتد شمالا وجنوبا بانضمام العديد من القبائل، وشملت المناطق الجنوبية للعمالات الثلاث على طول خط حوالي 800 كلم من الشرق إلى الغرب وعمق من 270 حتى 360 كلم جنوبا.

وفي يوم 4 فيفري 1865 جرت معركة قارة سيد الشيخ ضد الجنرال ديليني (Deligny)، والتي جرح أثناءها سي محمد، وأخذ زمام القيادة بعده أخوه سي احمد؛ الذي واصل المقاومة وهاجم قوات العقيد مارجوريت (Marguerite).

وعلى مدى 16 عاما، شهدت هذه الثورة معارك عديدة، أهمها:

- معركة حاسي بن عتاب في 16 مارس 1866.
- معركة غار القيفور في 13 أبريل 1866، وكانت لصالح الفرنسيين وعملائهم.
- معركة أم دبدب في 1 فبراير 1869.
- معركة ماقورة في 17 أبريل 1871، وكانت لصالح الفرنسيين.

وحتى عام 1875م لم تتمكن القوات الفرنسية من السيطرة التامة على التخوم الصحراوية، ولم يتعد توسعها الهضاب العليا، وكان ثوار أولاد سيدي الشيخ يشنون من حين لآخر هجومات وعمليات غزو مشتركة ضد الفرق العسكرية الفرنسية، وضد القبائل الخاضعين لفرنسا.

ومنذ هذا التاريخ (1875 م) لم يحدث أي صدام بين الثوار والفرنسيين حتى سنة 1879 م؛ حينما حاول سي قدور بن حمزة تنشيط الثورة عبر الحدود الغربية، ولكن بدون نتيجة، لهذا توقف نشاط الثورة بصورة عامة، فقرر قائد الثورة الاستقرار في واد قير بالمغرب الأقصى، وتفرق باقي الزعماء الآخرين، وأعلنوا خضوعهم لفرنسا.

وكان آخر المستسلمين من زعماء ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة هو سي قدور بن حمزة الذي التقى الجنرال توماسين (Thomassin) في بريزينة شهر أبريل 1884، ثم قابله الجنرال ديتريه (Détrie) في البيض يوم 31 ماي 1889، قبل أن يكون في استقبال الحاكم العام للجزائر كومبون (Jules Cambon) في المنيعه في مارس 1892.

بيبلوغرافيا مختارة:

1. فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2002.
2. ملاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر 2006.
3. لكحل الشيخ: مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة 1851-1906، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي 2019.
4. مياسي ابراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011.
5. البوشيخي محمد بن الطيب: أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة التصوف والجهاد، مطبعة أطلال، وجدة 2013.
6. De La Martinière H.-M.-P. et Lacroix N.: Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, Gouvernement Général de L'Algérie, Alger 1897
7. Trumelet Corneille: Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864, Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire, Alger, 1879.

المحاضرة السابعة

ثورة المقراني والحداد

أولاً: الباشاغا المقراني والشيخ الحداد

ثانياً: أسباب الثورة

ثالثاً: أحداث الثورة

رابعاً: تقييم نتائج الثورة

أولاً: الباشاغا المقراني والشيخ الحداد

ولد الباشاغا محمد المقراني سنة 1820 بناحية مجانة بولاية برج بوعرييج، وهو ابن أحمد المقراني أحد حكام منطقة مجانة الذي شارك إلى جانب أحمد باي في صدّ الغزو الفرنسي على قسنطينة سنة 1837، وتمكن الفرنسيون بعد ذلك من استمالاته وعينوه سنة 1838 خليفة على منطقة مجانة. وبعد وفاة أبيه سنة 1853 تم تعيين محمد المقراني بلقب "باشاغا"، وبامتيازات أقل من امتيازات أبيه.

وكان محمد المقراني يحظى بثقة من سلطات الاحتلال ويتمتع بسمعة طيبة لدى الشعب، وقد زاد من محبة الناس له موقفه المشرف خلال الأزمة الاقتصادية الخانقة التي ألمت بالمجتمع الجزائري خلال فترة الستينيات من القرن التاسع عشر؛ أستشهد الحاج "محمد المقراني" في 05 ماي 1871.

أما الشيخ الحداد فهو محند أمزيان بن علي الحداد، ولد في 1791م، انتقلت عائلته من بني منصور لتستقر في إيفيل إيمولة بواد الصومام، ومنها إلى بلدة صدوق وفيها إمتهن جده حرفة الحدادة، لذلك أطلق اسم الحداد على الأسرة.

تعلم الشيخ محمد أمزيان في زاوية أبيه، فحفظ القرآن، وتعلم مبادئ اللغة العربية، ثم ذهب إلى زاوية الشيخ ابن أعراب في جبال جرجرة حيث واصل تعليمه مدة من الزمن. وفي نهاية دراسته أصبح مقدا وخليفة للطريقة الرحمانية، ورجع إلى زاوية أبيه في صدوق، وأصبح يعطي الميثاق للمريدين، وارتفع عدد الطلبة في زاويته إلى حوالي 500 شخصاً، كما شاركت الزاوية في تقديم إعانات مادية للمعوزين أثناء مجاعة عامي 1867-1868م .

ثانياً: أسباب الثورة

هناك العديد من الظروف والأسباب دفعت المقراني للقيام بالثورة، منها:

- انتزاع فرنسا خمسة آلاف هكتار من أراضي المقرانيين (أولاد بلقندوز) في منطقة البرج لتوطين المعمرين المهاجرين.
- منع فرنسا الباشاغا منع المقراني من تطبيق نظام "التوزة" الذي يتطلب جهداً جماعياً، وفرضت عليه تسليم أموال الضرائب إلى الخزينة بعدما كان يحتفظ بها لإدارة منطقتة.
- استثمار فرنسا للتناقضات القائمة بين الباشاغا محمد المقراني وخصومه من عائلته أو غيرها، من أجل إضعاف نفوذ الجميع وفرض السيطرة الفرنسية عليهم.
- تعرض المقراني لانتقادات السلطات العسكرية؛ وهذا ما حدث سنة 1864م عندما لأمه الجنرال ديفو على المساعدات التي قدمها لصديق أبيه بوعكاز بن عاشور الذي كان يعاني من مشاكل سياسية بمنطقتة، هذا الأخير اتهمته فرنسا بإشعال الثورة في فرجيوة والزواغة والبابور.
- اتساع حركة الهجرة الأوروبية إلى الجزائر من أجل الاستيطان والاستيلاء على الأراضي الفلاحية الخصبة وطرد مالكيها إلى المناطق المنعزلة الجرداء.
- اتساع النشاط التبشيري خاصة في منطقة القبائل؛ حيث استغلت الكنيسة مجاعة 1867م الأوضاع المزرية للشعب لرفع راية الإنجيل في يد والمساعدات في يد أخرى.
- الإجراءات القانونية المتعددة التي أصدرتها فرنسا بهدف إلغاء القضاء الإسلامي وإدخال النظام القضائي الفرنسي.

- تحطم معنويات الجيش الفرنسي بعد انهزامه أمام المانيا، وإجلاء البعض من القوات العسكرية إلى أوروبا وأمريكا للحروب الاستعمارية التوسعية.

- الانتقال من الحكم العسكري الذي يعتمد على المكاتب العربية إلى الحكم المدني بعد انخيار الإمبراطورية الثانية، وقيام الجمهورية الثالثة التي أعطت امتيازات للمستوطنين واليهود بعد صدور قانون كريميو في 24 أكتوبر 1870. وتخلي فرنسا عن وساطة العائلات الكبرى بتطبيق الحكم المباشر.

- تقليص نفوذ وصلاحيات عائلة المقراني؛ حيث أصبح محمد المقراني لا نفوذ له، كما تم إنزاله من مرتبة الخليفة إلى مرتبة الباشاغا، ولم يكتفوا بذلك بل أصبح لا يُستشار في العديد من القضايا الفاعلة، عكس العديد ممن هم دونه منزلة.

ثالثا: أحداث الثورة

لما لاحظ الجزائريون الاضطرابات في الإدارة الفرنسية في الجزائر عقب حوادث باريس، وسقوط الامبراطورية الثانية تحت أقدام الجنود الأمان، شرعوا في نهاية عام 1870 يفكرون في الثورة، وكانت البداية مع تمرد جنود "الصباحية" الجزائريين الذي حدث في جانفي 1871 وقد شارك المتمردون الشعب و اغتالوا ضباطهم الفرنسيين، و نادوا بالاستقلال، وأخذوا يرددون: "أن باريس قد سقطت في يد البروسيين وأن محي الدين ابن الأمير عبد القادر سيأتي من نفطة ليطردهم الفرنسيين من الجزائر".

وقد كانت هذه التطورات العسكرية مصحوبة بدعاية دينية وطنية ثورية قام بها الشيخ الحداد الذي كان طاعنا في السن (80 سنة) والذي كان قد أصبح زعيما روحيا للطريقة الرحمانية. وقد أعلن الشيخ الحداد الجهاد بعد أن ألح عليه ابنه سي عزيز، و نادي الشعب الى حمل السلاح ضد الاحتلال. وهكذا انتشرت كلمة الثورة وراجت فكرة الجهاد ضد الفرنسيين في المساجد، والأسواق، والمقاهي، والأماكن العامة بفضل نشاط أتباع الشيخ الحداد. وخلال بضعة أسابيع جندت منطقة القبائل وحدها مائة وخمسين ألف رجل.

ولكن الزعيم العسكري لثورة 1871 هو الحاج محمد المقراني الذي كان قد أعد نفسه لهذا الدور منذ وقت طويل، وكان واعيا لدوره، لكنه كان يراقب التطورات في أوروبا وفي الجزائر باهتمام كبير.

وعندما عزم الباشاغا المقراني على الثورة أعلن استقالته من منصبه في رسالتين كتبهما يوم 14 مارس 1871 إلى أوجررو وأوليفي حاكم مدينة البرج: "أكد لهما بأنه كان قد قدم استقالته إلى المارشال مكماهون، وأنه كان قد قبلها منه. غير أنه بقي مستمرا في عمله بسبب انشغال فرنسا بالحرب"، ولكي يقطع صلاته بسلطات البرج، أمر بقطع خط الهاتف الذي يربط مجانة بالبرج. ودعا في مساء اليوم ذاته إلى اجتماع عام لكل أقربائه من أولاد الحاج وقواد الدواوير والأعراش التابعين له في منطقة مجانة والبرج، وتدارس معهم الوضع الجديد والخطط الأولى لحركته المقبلة، وأعلن لهم أن الوقت قد حان للثورة ضد حكومة التجار واليهود، ولقد تقرر في هذا الاجتماع على أن يزحف المقراني بنفسه على مدينة البرج بقواته يوم 16 مارس والقيام بعمليات عسكرية في غرب عمالة قسنطينة، في حين يتجه أخوه بومزراق للعمل في منطقة ونوغة وسور الغزلان، بينما كلف ابن عمه وصهره السعيد بن داوود بقيادة الثورة في منطقة الحضنة وبوسعادة وأولاد نايل الجلفة جنوب شرق سور الغزلان، وكان على ابن عمه الحاج بوزيد بن عبد الرحمن شقيق السعيد بن داوود أن يزحف من الحضنة على رأس حوالي خمسة عشر ألف رجل إلى البرج والمناطق الشمالية لتدعيم الثورة.

تجمعت قوات المقراني في مجانة يوم الأربعاء 15 مارس 1871، وقد أقيمت من كل الجهات بصورة مستعجلة، بعد أن توزع المبعوثون في كل أنحاء مجانة لإبلاغ الناس بقرار الباشاغا وقواده بإعلان الثورة. وفي صباح يوم الخميس 16 مارس توجه المقراني بهذه القوات إلى البرج؛ حيث انضم إليه على الفور القايد الصغير بن عدة مع بعض أفراد القوم بأسلحتهم. وفرض المقراني الحصار على المدينة، ولم يبدأ القتال إلا حوالي منتصف النهار، واستمر حتى غروب الشمس. وفي

المساء أخذ اليهود الذي كلفوا بالحراسة، يفرون إلى داخل قلعة المدينة، بعيدا عن الأسوار. ووجهت السلطات داخل المدينة عدة رسائل استنجد إلى عدة جهات، وخاصة سطيف، ومرت أربعة أيام من الحصار، بدون حوادث مثيرة، حاول الثوار بعدها تلغيم الجدران لفتح ثغرة فيها، غير أن الحامية المدافعة عن المدينة أحبطت هذه المحاولات، إلى أن قدمت النجيدات بقيادة الجنرال سوسي وتمكنت من فك الحصار عن المدينة وملاحقة الثوار بعيدا عنها.

أثناء ذلك، كان الثوار يحاصرون مدينة سطيف من كل النواحي، وبأمر من سلطاته العليا سارع الجنرال سوسي إلى المدينة بعد أن نسف قصر المقراني ليحول كذلك دون دخوله مدينة سطيف ولتظل محاولات المقراني لا تخرج عن إطار المناوشات.

إثر ذلك حاول المقراني حصار مدينة البويرة ودخولها، لكنه فشل، فخاض معركة طكوكة بذراع المؤمن مع القوات الفرنسية في 28 أبريل 1871م حيث استشهد بعض ثواره وجرح وقتل بعض الأوروبيين.

وصبيحة يوم 5 ماي فاجأت قوات العقيد تريملي - حاكم دائرة سور الغزلان - الذي كان معسكرا مع الجنرال سيريز قوات المقراني؛ حيث بدأت المناوشات بين الطرفين التي استمرت حتى منتصف النهار. ولما قام المقراني لصلاة الظهر مع بعض رفاقه كان جنود "الزواف" الفرنسي يترصده فرماه أحدهم بأربع رصاصات أردته شهيدا، كما سقط معه ثلاثة من رفاقه، وبعدها توقفت المناوشات تماما؛ لتحمل جثة المقراني لتدفن في قلعة بني عباس.

بعد استشهاد المقراني التحق بومزراق بمعسكر الشيخ الحداد في قرية تيزي الجمعة قرب بجاية. لكن أسرة الحداد ما لبثت أن استسلمت في بداية جويلية من عام 1871م، وحينها شعر بومزراق بخطورة الوضع فانسحب إلى الصحراء مع من تبقى من أفراد أسرته والتحق بالثائر بوشوشة؛ إلى أن تم اعتقاله في 20 جانفي 1872م، بالرويسات بورقلة.

رابعا: تقييم نتائج الثورة

- تعويل المقراني على مساعدة الأمير عبد القادر عبر ابنه محي الدين الذي كان حينها في نفطة على الحدود الجزائرية التونسية، وكذلك مساعدة الدولة العثمانية وتونس. ولكن هذه المساعدة لم تتحقق.

- موت المقراني السريع والمفاجئ قد أضعف الثورة، وقد خلفه في القيادة أخوه بومزراق وسي عزيز ابن الشيخ الحداد، ولكن القيادة الجديدة ارتكبت خطأين استراتيجيين: الأول كان مد الثورة إلى الصحراء حيث النقص في السكان والعتاد والماء. والثاني هو استعمال طريقة الهجوم المباشر ضد الفرنسيين. هذان الخطآن رجحا الكفة لصالح الفرنسيين الذين استطاعوا أن يأسروا بومزراق وسي عزيز في جانفي 1872

- لم يستخدم الفرنسيون السلاح فقط للقضاء على الثورة، ولكن الشرطة المدنية أيضا على نطاق واسع.

- بدأ الفرنسيون بتطبيق القانون العنصري المعروف بقانون الأهالي le code de l'indigénat خلال ثورة 1871.

- من بين الاضطهادات المرعبة التي تلت الثورة ما يلي: مائة فرنك ضريبة حرب على كل بندقية محجوزة، مصادرة خمسة ملايين هكتار من الأرض التي يملكها الثوار، وتأميم مليونين وخمسمائة ألف هكتار أخرى، اصدار قانون بالمسؤولية الجماعية على كل خسارة، رفض اللجوء عند المحاكمة إلى القانون العام وتعويضه بإجراءات غير معروفة للقانون الفرنسي.

- قامت فرنسا بنفي العديد من زعماء الثورة وعائلاتهم نحو جزيرة كاليدونيا الجديدة في المحيط الهادي.

- إن عمليات التقتيل والتشريد والمصادرة للأراضي التي طالت الجزائريين بعد هذه الثورة قد أرغمت الكثير منهم على الهجرة نحو المشرق العربي.

بيبلوغرافيا مختارة:

1. بطاش علي: لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداو وثورة 1871م، دار الأمل، الجزائر 2007.
2. بوعزيز يحي: ثورة 1871 دور عائلي المقراني والحداو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978.
3. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
4. فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2002.
5. ملاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر 2006.
6. Louis Rinn: Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie, Librairie Adolphe Jourdan, Alger 1891.
7. Si AZZIZ: Mémoires d'un accusé Si Azziz Ben Mohamed Amezian Ben Chikh ElHaddad à ses Juges et ses Défenseurs, Trad: Ernest Mercier, Imp.Marl, Constantine 1873.

المحاضرة الثامنة

ثورة الشيخ بوعمامة

أولاً: الشيخ بوعمامة

ثانياً: مراحل ثورة بوعمامة

3- المرحلة الأولى 1881-1883

4- المرحلة الثانية 1883-1908

مقدمة

تعتبر ثورة الشيخ بوعمامة من أطول الثورات الشعبية التي عرفتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر، إذ دامت قرابة الربع قرن؛ من أبريل 1881 إلى غاية أكتوبر 1908. وتقلبت بين الانتصار تارةً والانسكاس تارةً أخرى، وشهدت فصولاً من الصدام المسلح وجولاتٍ من المفاوضات والمراسلات. لكنها أنهكت القوات الفرنسية واستنزفت جهدهم، وأعاقت تقدم العمليات العسكرية نحو أقصى الجنوب الجزائري لمدة طويلة، كما أنّ عدة قبائل في التل وفي الصحراء شاركت في هذه الثورة. فمن هو الشيخ بوعمامة؟ وماهي ظروف اندلاع ثورته؟

أولاً: الشيخ بوعمامة

هو محمد ابن العربي ابن الشيخ ابن الحرمة ابن محمد ابن ابراهيم ابن التاج والمشهور لابي عمامة؛ وهو سليل أولاد سيدي التاج الابن الثالث عشر للجد الأول سيدي الشيخ. وقد انحاز هذا الفرع في التراب المغربي بمقتضى معاهدة لالة مغنية في 18 مارس 1845، ويطلق عليهم أولاد سيدي الشيخ الغرابية.

ولد بوعمامة حوالي سنة 1838 أو 1840 في قصر الحمام الفوقاني، وتدرج في سلك حلقات العلم منذ نعومه أظافره؛ من الكُتّاب لحفظ القرآن، إلى طلبه العلوم الدينية من خلال مبادئ العقيدة الإسلامية، مروراً بكل المدارس الكلامية إلى الفقه وعلومه. وتلمذ بوعمامة البوشيخي الدرقاوي على يد سيدي محمد بن العربي اليعلاوي الفيلاي.

وتذكر الوثائق التاريخية أنه غادر فيقيق نهائياً عام 1878 ليستقرّ في مغلر جنوب عين الصفراء، ويؤسس بها من جديد زاوية اجداده ويتبع حياة الزهد والورع.

وقد حاول بوعمامة توحيد أولاد سيدي الشيخ المتفرقين بطريق الروابط الروحية والعائلية، وقال المعاصرون إنه جاء بمذهب جديد، وأنه رجل يقظ وحذر، وأنه حاول الاستفادة من الانقسام الموجود في العائلة لصالحه، وذلك بإنشاء قيادة واحدة.

ولكن الفرنسيين كان لا يرضيهم ذلك، سيما وأنّ ثمانينات القرن التاسع عشر كانت هي الفترة التي أخذوا فيها يسعون بين الطرق الصوفية كلّها حتى لا تتوحد، ولا تصبح خطراً يهدد مصالحهم، ومهما كان الأمر فإنّ محاولة بوعمامة أن يكون هو "خليفة" سيدي الشيخ مباشرة، لم تنجح، ولكن أصحابه أعلنوا أنه أصبح قُطبا، وأجاز هو لأصحابه أن يجمعوا بين طريقته وطريقة أخرى، وكان له وِزْدٌ يعطيه لأتباعه قال إنّ سيدي الشيخ أعطاه إياه بالرؤية والمكاشفة.

وقد نجح الفرنسيون في عزل أولاد سيدي الشيخ الآخرين من الانضمام لثورته، رغم أنه منهم، واتهموا بوعمامة بأنه كان يقلد الشيخ السنوسي في عداته للنصارى.

ثانياً: مراحل ثورة بوعمامة

يمكن تقسيم مراحل ثورة بوعمامة إلى مرحلتين رئيسيتين: مرحلة المواجهة المباشرة، ومرحلة المواجهة الغير مباشرة.

أما مرحلة المواجهة المباشرة فهي تلك المرحلة التي كان فيها بوعمامة مشاركاً ومشرفاً مباشراً على العمليات العسكرية، والتي تمتد من سنة 1881 إلى 1883.

أما في المرحلة الثانية فقد شهدت هي أخرى مواجهاتٍ مع قوات الاحتلال إلا أنّ بوعمامة لم يكن في أغلبها مشرفاً مباشراً على تلك العمليات وإن كان على علم بها. وقد قسمت هذه المرحلة إلى مرحلتين فرعيتين:

- مرحلة دلدول والتي امتدت من 1883 إلى غاية 1896، كان فيها بوعمامة مقيماً في زاويته في دلدول بمنطقة توات.

- ومرحلة المغرب والتي امتدت من 1896 إلى غاية 1908، في هذه المرحلة اضطرته الظروف السياسية والأمنية إلى الخروج نحو المغرب مرفوقاً بالقبائل المناصرة له.

5- المرحلة الأولى 1881-1883

بعد استقراره في مغرار بدأ الشيخ بوعمامة يشكل شبكةً من العلاقات بين أتباع الطريقة الشيخية، كما ربط علاقاتٍ متينةً مع أتباعٍ ومحبين من أهل توات وقبائل الشعانبة الذين آزره ووقفوا معه.

كما أنّ بوعمامة لم يكن يفكر في الثورة غداة استقراره بمغرار، لكن الأحداث التي جرت بعد ذلك قد ولّدت لدى الأهالي تدمراً وبدأت تفكر في الثورة؛ منها تزايد البعثات الاستكشافية نحو المناطق الجنوبية واصطدام الأهالي بها؛ من ذلك تحرش أهالي تيوت بالبعثة العلمية التي كانت تجري دراسات طوبوغرافية لإنجاز خط السكة الحديدية العابر للصحراء، مما حدى بسلطات الاحتلال إلى إقامة مركز عسكري في قصر تيوت.

وكذلك قيام السلطات المدنية والعسكرية بالضغط على بعض القبائل الرعوية؛ خاصة في دائرتي آفلو والبيض بمنعهم من الانتقال بمواشيهم نحو الجنوب كما هي العادة للبحث عن الكلاء ولوقاية مواشيهم من برد الشتاء، مما أدى إلى هلاك أعداد كبيرة من تلك المواشي.

ونظراً لمكانة بوعمامة الدينية، وشهرته في الصحراء، فقد راسلته تلك القبائل، شاكياً إليه تصرفات السلطات الاستعمارية، وطالبةً منه أن يقودها للثورة عليها.

وبحلول نهاية عام 1880 أضحى خطر الثورة وشيكاً لدرجة أنّ القائد العسكري لدائرة معسكر راسل الحاكم العام للجزائر ألبرت قريفي M. Albert Grévy طالباً منه توجيه حملة عسكرية نحو مغلرر. إلا أنّ الحاكم العام لم يُعِر اهتماماً لتلك التحذيرات؛ خاصة وأنه قد سبق له أن صرّح بأنّ عصر الانتفاضات في الجزائر قد ولى وإلى الأبد.

بادر الشيخ بوعمامة بدعوة جميع القبائل الصحراوية إلى التعبئة، ورصد الامكانات، وجمع المون والذخيرة إلى غير ذلك. وقد وجدت هذه الدعوة صداها لدى قبائل الشعانبة، عمور، حميان، وأولاد سيدي الشيخ، واستطاع في مدة وجيزة أن يجند جيشاً من هذه القبائل من مشاة وفرسان.

وقد كانت الشرارة التي أشعلت فتيل الثورة هي حادثة مقتل الملازم وينبرونر (Weinbrenner) النائب الثاني لرئيس المكتب العربي بالبيض يوم 22 أبريل 1881، مع أربعة من حراسه بعد محاولتهم اعتقال مبعوثي بوعمامة إلى قبيلة الجرامنة المخيمين في ضاية أودي الحجل والتي تبعد ب 30 كلم شرق البيض.

وقد استغل بوعمامة غياب الجيش الفرنسي المرابط بالإقليم الوهراني الذي كان يخوض حملة ضد القطر التونسي في أبريل 1881، فأعلن الجهاد المقدس وحثّ بعض القبائل على الانفصال عن فرنسا.

وقد تم أول لقاء بين المجاهدين والجيش الفرنسي في يوم 27 أبريل 1881 بموقعة "سفيصة" جنوب عين الصفراء، وأسفرت المعركة عن انهزام الجيش الفرنسي، وترك قتلاه على ميدان المعركة وخاصةً بعض الخونة القومية وقائدهم.

استعدت بعد ذلك القوات الفرنسية، وجهزت ثلاثة فيالق من المشاة، وعدة سرايا من قناصة افريقيا، وفرقة المدفعية، وفرق الخدمات المختلفة، وفرقة القومية من سعيدة وتيارت يقودهم الآغا قدور بن عدة والآغا الحاج قدور صحراوي، وأخيراً قافلة من 2500 جمل يقودهم 600

جزائري، وتولى القيادة العامة لهذه القوات الجنرال كولينيون دانسي (Collignon d'Ancy) قائد الشعبة العسكرية لمعسكر. إلا أنه لم يحتفظ بالقيادة إلا أياماً قليلة، نظراً لتدهور صحته ودخوله إلى مستشفى البيض في 9 ماي 1881، وعوضه العقيد أنوسونتي (Innocenti). واستعد الجميع للمعركة الحاسمة يوم 19 ماي 1881 في موقع المويك (تازينة)، أو موقع الشلالة كما تسميه بعض المصادر، في ميدان فسيح عرضه حوالي ثلاثة كيلومترات بين جبلين وطوله عشرة كيلومتر.

وقد تضاربت الأنباء بشأن نتائج هذه المعركة فقد ذكرت التقارير الفرنسية أن خسائر معركة الشلالة قد بلغت 300 قتيل في صفوف الثوار و37 قتيلاً في صفوف الجيش الفرنسي. لكن انسحاب أنوسونتي بالجيش الفرنسي نحو الشمال لا يدل على أنه أحرز نصراً بل يدل على أنه هرب من بوعمامة؛ فعوض أن يعود إلى البيض ويلتقي بوعمامة من جديد أثر الاتجاه شمالاً نحو الخيضر، وهذا ما جعل القيادة العسكرية تفصله وتعوضه بالجنرال ديتريه (Détrie).

ومن أبرز أحداث المرحلة الأولى للثورة هي مسيرة بوعمامة التي حيرت القوات الفرنسية ونُسج حولها بعض الغيبيات، ودامت هذه المسيرة حوالي 26 يوماً؛ من 30 ماي إلى 21 جوان 1881، وكانت نحو الشمال مروراً بالبيض وستين ليعود ثانية إلى بوسمغون، قاطعاً الخط الرابط بين مشرية وعين الصفراء، وقطع خلالها ما يقارب 730 كلم، متفوقاً على الطواير العسكرية التي كانت ترصده ولم تستطع القضاء عليه.

واستهدف الثوار خلال هذه المسيرة العديد من الأهداف الفرنسية كخطوط التلغراف، وكذلك مراكز الشركة الفرنسية للحلفاء، وقتل العديد من العمال الاسبان الذين كانوا يشتغلون بالشركة، كما قاموا بحرق واتلاف الكثير من العتاد، وذلك من أجل تقويض أركان الاستعمار واستغلاله لخيرات البلاد. غير أن هذه الأعمال لقيت انتقاداً من طرف الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني المعاصر للشيخ بوعمامة، وقد تحدث عن بعض أحداث الثورة في كتابه الموسوم ب: القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط، وقد انتقد بشدة أعمال الثوار ضد العمال الاسبان.

بعد انهزام الجيش الفرنسي، قام بعض القادة العسكريين بالانتقام من السكان العزل؛ فقام الجنرال دونغرييه (De Negrier) بنسف قبة سيدي الشيخ المتواجدة بالأبيض سيدي الشيخ يوم 16 أوت 1881، وقام بأعمال شنيعة يندى لها جبين الإنسانية؛ فقد وصل به البُغض إلى نبش قبر الشيخ الذي مر عليه قرنان وخمسون سنة، وهو يهدف من وراء ذلك إلى الاستهزاء من الرموز الروحية التي تحث الناس على الثورة والجهاد.

6- المرحلة الثانية 1883-1908

ساد الثورة في هذه المرحلة بعضٌ من الفتور؛ فقد استقر الشيخ بوعمامة بمسقط رأسه بفيقيق التي وصلها في منتصف شهر جويلية 1883 ليفكر في إعادة التنظيم تورثه للمرحلة القادمة، لذلك تخوفت السلطات الفرنسية من تحركه.

غادر بوعمامة فيقيق والتجأ إلى واحات إقليم توات، واحتمى بسكان واحه دلدول بمقاطعة تينقورارين(قورارة) مع نهاية 1883 واستقر هناك إلى غاية 1894، حيث قام بتأسيس زاوية، وشرع في تنظيم دروس دينيه ومواعظ، ليحشد المزيد من الأتباع والأنصار لمواصلة الجهاد ومقاومة التوسع الاستعماري في الجزائر. كما قام بمراسلة مختلف القبائل الصحراوية يحث على الجهاد، إضافة إلى هذا وذاك، فقد قام بتحركات سياسية؛ تمثلت في مراسلة الحكام العسكريين الفرنسيين.

خرج بوعمامة من دلدول واتجه شمالاً؛ حيث استقر بالعوج التحتاني في 26 ماي 1896 على حافة وادي زوزفانة قرب منطقة فيقيق، ليتمكن من جمع امكانياته ورص صفوفه، فجمع حوالي 420 فارساً 1130 مشاة و95 مھاريا من عدة قبائل: اولاد جرير، الشعابنة، وغيرهم... وظلت القبائل المناصرة لبوعمامة من حين لآخر تُغير على الأهداف الفرنسية من مراكز وحصون عسكرية وحتى البعثات الاستكشافية.

غير أن بوعمامة تعرض إلى مشاكل مما جعله يدخل إلى المغرب الأقصى، مع أنصاره من القبائل التي ظلت مناصرة له خاصة من الشعانبة. كما أنه ناصر ثورة الجيلالي الروقي الزرهوني؛ الملقب بأبي حمارة، والمطالب العرش المغربي.

ورغم انشغال بوعمامة بثورة بوحمارة إلا أن أنصاره ظلوا يقومون بعمليات عسكرية ضد السلطات الاستعمارية على طول الحدود من وجدة وتلمسان شمالا حتى البيض جنوبا، بل وصلوا حتى مناطق أبعَدَ في عمق الصحراء الجزائرية؛ إلى أن وافته المنية في 7 أكتوبر 1908 بوادي بودريم، ونقل بعد موته إلى قرية عيون سيدي ملوك بمنطقة وجدة المغربية.

بيبلوغرافيا مختارة:

1. دان روس إ.: المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912، تر: أحمد بوحسن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2006.
2. زوزو عبد الحميد: ثورة بوعمامة 1881-1908، جزآن، موفم للنشر، الجزائر، 2010.
3. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
4. الشقراني احمد بن عبد الرحمن: القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط، تح: ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.
5. عمراوي احميدة وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009.
6. لكحل الشيخ: مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة 1851-1906، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي 2019.
7. مياسي ابراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

8. De La Martinière H.-M.-P. et Lacroix N.: Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, Gouvernement Général de L'Algérie, Alger 1897

9. Graulle E.: Insurrection de Bou-Amama (avril 1881), Henri Charles Lavauselle Editeur Militaire, Paris 1905.

الخلاصة

- وفي ختام في هذه المطبوعة يمكننا استخلاص النتائج التالية:
- بعد نجاح الحملة العسكرية الفرنسية وتوقيع الداوي حسين على معاهدة الاستسلام في 5 جويلية سنة 1830، دخلت القوات الفرنسية الغازية مدينة الجزائر معلنة نهاية العهد العثماني فيها. وبعد أخذ ورد قررت الحكومة الفرنسية أنّ أرض الجزائر هي أرض محتلة وينبغي توسيع هذا الاحتلال إلى كافة مناطق القطر الجزائري.
 - أخذت القوات الفرنسية توسع احتلالها نحو المدن الساحلية. ولما بدأت تتوغل في المناطق الداخلية اصطدمت بمقاومتي الأمير عبد القادر في الغرب وأحمد باي في الشرق، اللتين ظلت تواجههما طيلة حوالي عشرين سنة.
 - وبعد القضاء على المقاومين سنة 1847، وجهت أنظارها نحو المناطق الجنوبية، فكانت أول مواجهة مع أهالي الجنوب الجزائري في مقاومة الزعاطشة سنة 1849. ثم مقاومة محمد بن عبد الله التي تعتبر أهم وأكبر مواجهة مع سكان الجنوب الشرقي للجزائر.
 - لقد كانت مقاومة الزعاطشة صفحة مضيئة في تاريخ منطقة الزيبان، وجاءت لتثبت للعالم المجازر الفضيعة والأعمال الشنيعة التي ارتكبتها الجيش الفرنسي، فلا يمكن لأحد أن ينسى تلك المقاومة الصارمة التي وقعت بالجنوب الجزائري ورغم صمود السكان إلا أنها خلفت خسائر جسيمة في الأرواح.
 - شهدت منطقة القبائل عدة مقاومات وثورات ضد المستعمر الفرنسي منها مقاومة الشريف بوبغلة وبوحمارة ولالة فاطمة نسومر وصولا إلى ثورة الطريقة الرحمانية بقيادة الشيخ الحداد والباشاغا المقراني.
 - اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864 بعد قيام الباشاغا سي سليمان بالانقلاب على الفرنسيين وتجهيز مختلف القبائل الجزائرية في التل والصحراء.
 - كما أن الشريف بوشوشة قد قاد الثورة على الفرنسيين في شمال الصحراء سنة 1870، كما برز دور المقاوم الناصر بن شهرة في عدة مقاومات في جبال العمور والتل والصحراء.

- تعتبر ثورة الشيخ بوعمامة من أطول الثورات الشعبية التي عرفتھا الجزائر خلال القرن التاسع عشر، إذ دامت قرابة الربع قرن؛ من أبريل 1881 إلى غاية أكتوبر 1908. وتقلّبت بين الانتصار تارةً والانسار تارةً أخرى، وشهدت فصولاً من الصدام المسلح وجولاتٍ من المفاوضات والمراسلات. لكنها أنهكت القوات الفرنسية واستنزفت جهدهم، وأعاقت تقدّم العمليات العسكرية نحو أقصى الجنوب الجزائري لمدة طويلة.

- وفي الأخير يمكن القول أن الجزائريين قاوموا الاستعمار الفرنسي طيلة القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وأن توسع الاستعمار في مختلف مناطق الجزائر لم يكن سهلاً او مستقراً طيلة الفترة المذكورة.

كما أني أوصي:

- بالاهتمام بهذه المادة واختيار الأساتذة المتمكنين والمتمرسين لتدريسها للطلبة، باعتبارها مادة مهمة لدراسة التاريخ الوطني وتكوين شخصية الطلبة وهويتهم الوطنية.

- وفوق هذا وذاك، فإني اوصي مسؤولي التخصص في شعبة وميدان التكوين بمراجعة محاور المادة واثرائها بعناصر جديدة ومستحدثة؛ لغرض تسهيل المادة على الطلبة باستخدام الطرق الحديثة والبرامج الحاسوبية.

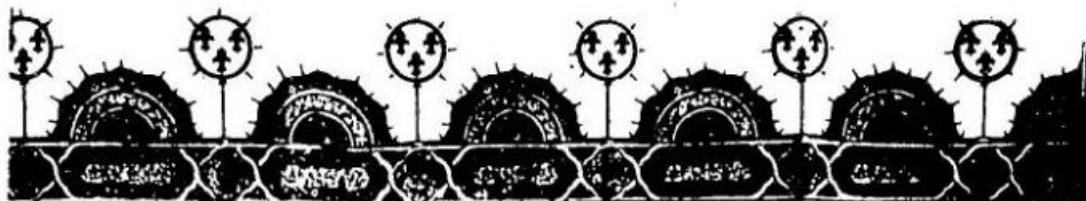
الملحق رقم 1

إنزال القوات الفرنسية بسيدي فرج يوم 14 جوان 1830



DÉBARQUEMENT DE L'ARMÉE FRANÇAISE DANS LA BAIE DE SIDI-FERRUCH, LE 14 JUIN 1830.

نداء قائد الحملة الفرنسية الأميرال ديورمون إلى سكان مدينة الجزائر



عده مناداة من سائر عسكر امير الجيوش والفرنسية



الى سكان الجزائر واسالى النبائل

بسم الله المبدى المعيد وبه نستعين

يا ايها ساواقي انقضاء الاشراف والعلما واكار المشايخ والفتية انبلوا في تحمل السلع واهل اشراف على مرودة للرزق والاصرام
 اما بعد املوا صناعكم الله الى الرشيد والحراب ان سعاده سلفك يراد من عزمه جنابه الا على من نوره قد انزع على ببوله ايكو بمص سار عسكر
 ربا اعز احدتنا وصيتنا سكلن الجزائر ومن ينتمى اليك من شعب الغاربه ان الياسا حاكمك من حيث انه تجزاه على بعد له يبرون مرادنا السعق
 سكل الامتار واندم على لعائنه بقد سبب يجعله عدوا على ما هو عتيد ان جعل يحكم من العوارث والخرات لعونه دعو عليكم الحرب من قبلنا بل ان عزة
 اعداءنا سكلن يرادنا فاعلمكمه في الله من ثلثه مرتبه لظهوره ورايته لثبوتة للشعور بلا بد ان هذا الياسا حاكمك من ثلثه بصيرته ومارة ثلثه فعد سبب على بسبب الانهال العوان
 انه ونا منه العذر القريبه ومن قريب ياربه بالاستعانة بالصليب الثمين بالانتم يا شعب الغاربه املوا واتقدوا يقينا اني لست انا لثقل عليكم بل اني لا تزل اتمن ويختتم في الحكم
 وتعمل ان تلحق وكرايا لكم من كسنا من العرب بله سر ثم اني اعلم انكم لست اتمن بريد بخرتك في بلحم ولا في ايمان ومنا اهل من لكم ان بلدكم والاضيق وسكنكم
 وحررتكم وكل ما مر في حيزنا من ارضنا يبقى على ما هو عليه ولا يتغير شيء من ذلك حبه احد من نوبه بل يكون في ايديكم انا باينو بحدف خلق في ايماننا من
 لكم ايها الرعايا ومعا حينا سقدا من غير ولا ياكل ان جواركم ورجعكم لا تزال ممرودة يورده على ما هي الين عليه واكثر راته لا يتغير لكم احد من امرتكم وملككم
 بلن حشرنا حاكمك ليس لاجل صاركم باقيا نصدنا بماره بل لعلكم الذي بدأ واخذ من ايماننا العداوة والبغضاء وبنا الاضيق عليكم ما يذبحكم ونهضه للشعور لا يظن ان
 نطلعكم على اطلاقه اذنية واحاله ببوله بله بله لعلكم الذي بدأ واخذ من ايماننا العداوة والبغضاء وبنا الاضيق عليكم ما يذبحكم ونهضه للشعور لا يظن ان
 الخمسين اضعافا لخمسين المائتين اضعافا عليه من ارضنا منكم بل اننا سكلنا لا يصدق اهلنا لثانه والدينا يكون لسن العوارث والاشرا والليل
 والسلاح والبر والحق وبما اشبه ذلك كله من شأنه وحده بيا ايها اهل الجزائر انتم العرب انه عز وجل ما سكل من بعد من بلدكم القاع ما يهد من اهل للبيت
 والحق لا انعالا به سملبه تعالى عليكم حق تحلقوا منلانه ونورنا سكلتكم على كل خير بغير منكم باقيا من الفرح والفرحة والامل والرجاء
 المرحمة ولا تصرا على حرمنا المرفه الذي عليكم من نورنا سكلتكم ولا تفعلوا ما بهم بصلحتكم لا استظفروا لكي تتركوا بالبلد هذا وتبصر اشرافنا التي تؤول
 الى خيبركم وحلاصكم وتفتقروا انه تعالى لا يبق فطخ خرف عطفته بل يريد ان كل واحد من ياربه يجوز ما يحسنه من ارضنا التي اسبغها على سكلن ارضه
 بالايضا اهل الاسلام ان كللنا صفا خلدن من الحب السكلل زانه مشغل على الصلح والوفاة وانت اعا شيعكم مراسيكم الى ارضنا حينئذ سكلتكم
 والصلح والرجوع من الله تعالى ان معاهدتنا يقع بعضها بعضا تؤول الى ما به منا بصلحتكم وحلاصكم وحشرنا باله انتج بعد ما تجتهدن ان يخلصنا
 وها باننا البرودة ليست هي سوى خيبركم وثلثيكم بشيئا لنا حصة مراسيكم كل ما يحتاج اليه عسكرنا المنصر من الذخائر ما بين
 لحمين وسمن وزيت وعجول وغنم وخيل وشعير وما يشبهه وجبن وحلث وسلاصق هذه اليها بما لا تدبر العين جلوسا اذنية
 على ما تريدون واكثر صفا واما ان سكلن سبب حياي الله خلاص ذلك حق تحلقوا حمارتنا ومغارتنا املوا ان كل ما يبيع
 من امكنه والشر اما يكون سببه من حصصكم بلا تلوموا ان اتمسكوا بايقنوا انه خذ ارضنا بل يكون عندكم محققا
 ان عسكرنا المنصوره خيبركم بليس مرلم وورن نعم وان الله يملكها عليكم بانه تعالى سكلنا انه يامر من يجعل لهم السحر والفرج
 بالرحمة والسامحة على اضعاف المظلمين بلكل يحكم بافقه العاقب على انفسهم في الارض العاقفين على البلاد والعباد ملا يذ
 انكم ان تعرض لنا بالعداوة والشر حلكم عن احراركم صفا ايها السلوة ما بدالي ان اطلعكم به من نصيحة مني اليكم
 بلا تفعلوا غنة واهلها بين حلاككم اما في نبله والعل عليه وان حلاككم لا يرقه عنكم احد ان امرضت مما نصصتكم وانفركم به
 وايقتروا بيثنا مرفقا في كل حال سلطتنا المنصر الصبورة من الله تعالى فهو يمكن تفهيمه لانه مغفور ولقدن لا بد ان يكون برسلاص
 على من سببنا واحاص

الملحق رقم 3

معاهدة ديمشال 16 فيفري 1834 بين الأمير عبد القادر والجنرال دي ميشال

Le Général Commandant Les Troupes Françaises
dans la Province d'Oran & le Trône des Soudes
Abd-el-Kader sur les conditions suivantes

الجنرال العام لجيوش البرنصير في بلاد وهران. وأمير
المومنين السيد الحاج عبد القادر بن محمد الدين
رضيوا في الشروط الآتية أدناه.

Art. 1.

A dater de ce jour les hostilités entre les Français &
les Arabes cessent.
Le Général Commandant les troupes Françaises &
l'Emir Abd-el-Kader ne néglieront rien pour faire
régner l'amour & l'amitié qui doivent régner entre
deux peuples qui ont été destinés à vivre sous la même
Domination. A cet effet des représentations ont été
résolues à Oran, Mostaganem & Alger. Les officiers
qui pour prouver toute bienveillance entre les Français
& les Arabes des officiers Français résideront
à Mostaganem.

شروط اول
من اليوم وما بعد يبطل الطراد بين البرنصير والعرب
الجنرال العام لجيوش البرنصير وأمير المومنين عبد
القادر كل واحد من ناحية يعمل جهده لكي يحصل
المودة والعهد الذي يلزم ان تكون بين شعبين
الذين مفكر عليهم من عند اللذان يعيشوا تحت
حكم واحد. ولاجل هذا أمير المومنين الامير بريل
من عند ثلاثة فناصر واحد لوهران واحد لارزيو
وواحد لمستغانم والجنرال كذلك في ذلك



Art. 2.

Religion & les usages musulmans seront respectés
& protégés.

شروط ثانی
الدين وعوايد المسلمين يكونوا دائما محرومين ومحام
عليهم

Art. 3.

Les prisonniers seront immédiatement rendus de part
& d'autre.

شروط ثالث
مراييط البرنصير يتسرحوا حالا وكذلك مراييط
العرب

Art. 4.

La liberté de Commerce sera pleine & entière.

شروط رابع
السوف يكون مسرح ولا احد يعارض احد
شروط خامس

Art. 5.

Les militaires de l'Armée Française qui ont été
pris par les Arabes seront rendus par les Arabes
à l'Armée Française. Les Arabes qui ont été
pris par les Français seront rendus à l'Armée
Française. Les Arabes qui ont été pris par les
Français et qui ont été envoyés en France
seront rendus à l'Armée Française. Les Arabes
qui ont été pris par les Français et qui ont été
envoyés en France seront rendus à l'Armée
Française.

كل المسكر الذين يجرهوا من البرنصير يستحقوا
العرب ان يردوهم لضد البرنصير وكذلك المسكر
الذين يجرهوا من عند العرب يتسرحوا ما يتعاضوا على
بالطه علوها ويحوا عند البرنصير جالا اسكرهم
الفضل الامير ان كان في وهران او ارزيو او

Art. 6.

Les Européens qui seront dans le cas de voyager dans
l'intérieur de la province d'Oran par terre sans
représentation de l'Emir & approuvée par le Général
Commandant, s'ils ne peuvent trouver dans toute la
Province aide & protection.

مستغانم شرط سادس
كل واحد ومي يجرهوا يسافر في البلاد يكون
معهم تزكوة مغلوقة بطابع فضل الامير وكذلك
بطابع الجنرال حاكم البلاد حتى الذي تكون
معهم هذه التزكوة يجرهوا ويحاموا عليهم في
كل البلاد. وهذه مستحتمين

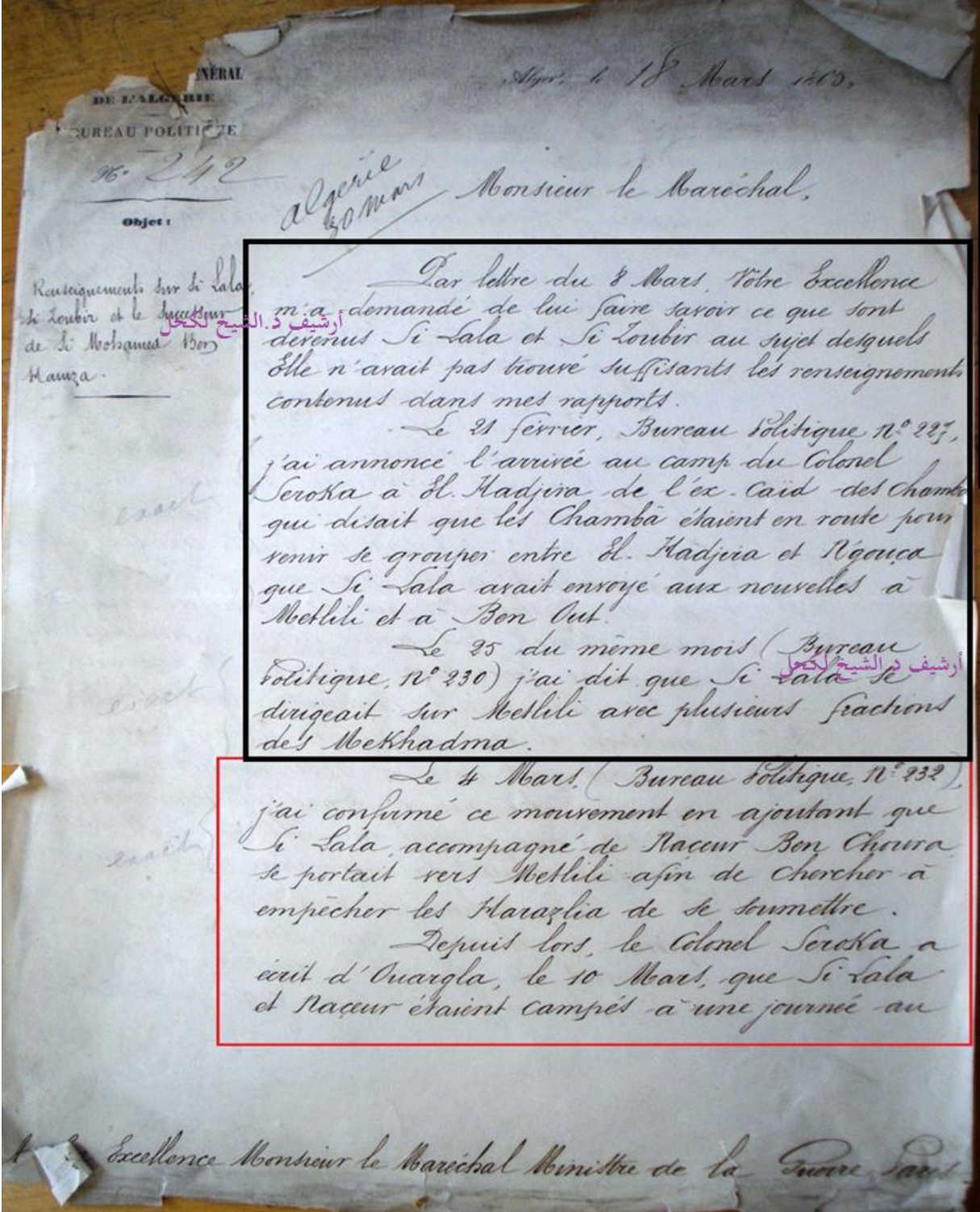
fait en double expédition à Oran, le 16 février 1834.
Le Général Commandant
Abd-el-Kader



Handwritten signatures and stamps in Arabic script, including a circular seal.

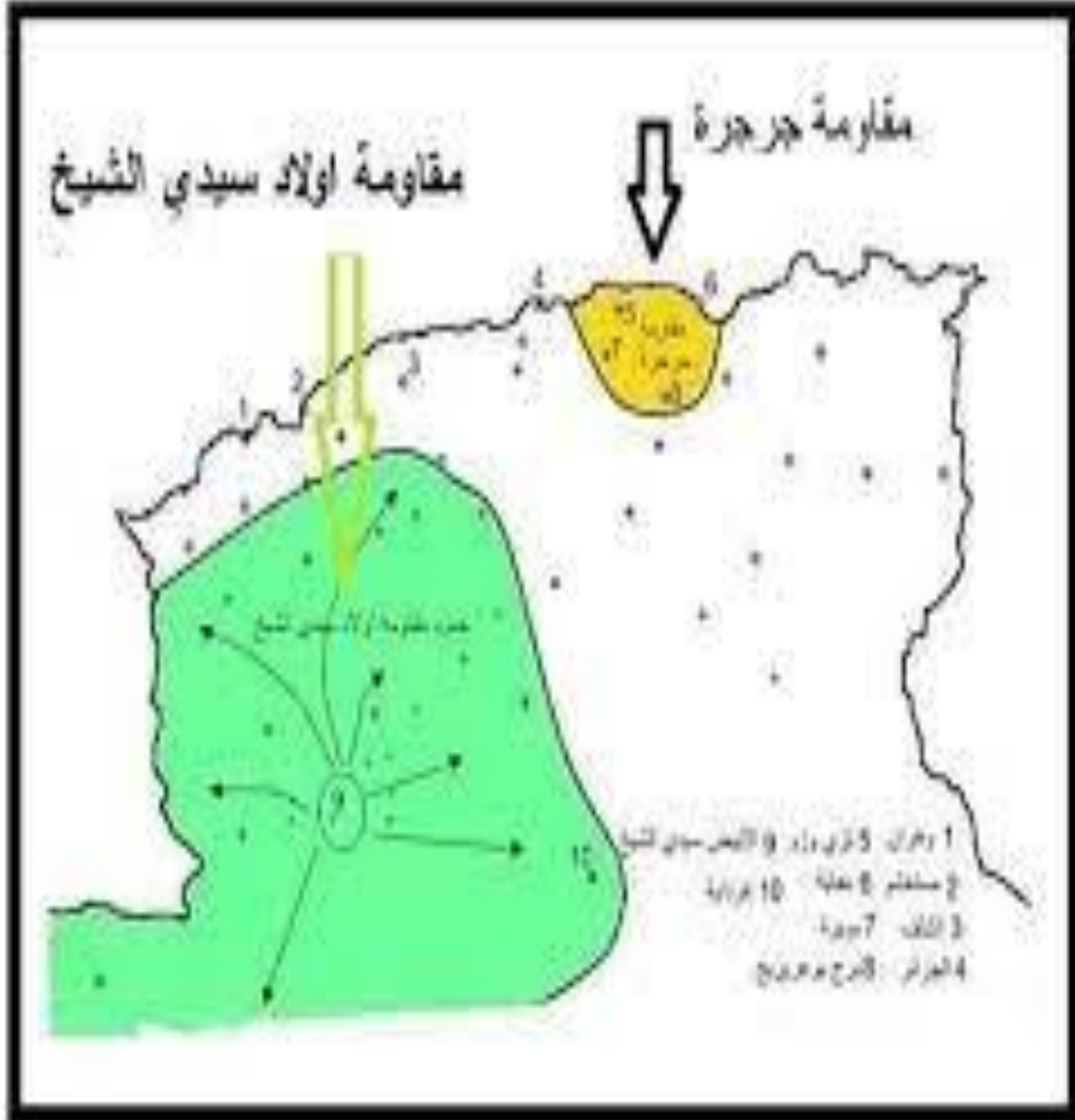
الملحق رقم 4

تحركات سي لعلا والناصر بن شهرة في مناطق شمال الصحراء سنة 1865.



الملحق رقم 5

خريطة توضح مناطق مقاومة جرجرة وثورة أولاد سيدي الشيخ .



مراسلة الشيخ بوعمامة للحاكم العسكري لعين الصفراء

الحمد لله وحده

حضرت المعظم الميرزا ابو جعفر السيد جنينار
 حاكم العين المعبر وافكار بها السلام عليك
 بعد ان سمعت بك من اهل الخير وكس
 عليه بك عنك باعمار والعلاجية ولا
 تصنع فينا الكلام الخالص لانكوا النساء
 الله عنهم وانترضو عن مصره وكل ما هو
 يوشوشر المال لانترضوه ولا تفرقوا
 عليه وكب اخذ من اجاريدك يا تونرا
 نكروهم وينكرونا نحنوا عليه ويو
 حذرونا انك باعور وكلو هلا من خهنت
 من هو صديق وغيره ومن هو يجر فالك
فالعسباد ويوعينو انك كل ما هو
 كل من ياتينا العسباد والعرسوج
 لستولهم سر ونابك في قوا
 وانستوهما بينا خير كما هي باعلا على عظم
 من فعل الخير عمننا
 في علمه حلوا الله خطيبه
 اعلاءه والاسلام



ببليوغرافيا مختارة في مادة تاريخ الجزائر المعاصر 1

أولا: باللغة العربية

1. أباطة نزار: الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت 1996..
2. الأميرة بديعة الجزائري: الأمير عبد القادر حياته وفكره، 3 أجزاء، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر 2012
3. باي الحاج أحمد: مذكرات، تر وتح: الزيري محمد العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.
4. بطاش علي: لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة 1871م، دار الأمل، الجزائر 2007.
5. البوشيخي محمد بن الطيب: أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة التصوف والجهاد، مطبعة أطلال، وجدة 2013.
6. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
7. بوعزيز يحي: ثورة 1871 دور عائلي المقراني والحداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978.
8. تشرشل شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، تر: سعد الله أبو القاسم، الدار التونسية للنشر، تونس 1974.
9. حباش فاطمة: بن الناصر بن شهرة زعيم الوحدة الوطنية جنوبا (1851-1875م)، في مجلة عصور الجديدة، ع20، 2015، ص ص 298-314.
10. خوجة حمدان بن عثمان: المرأة، تقديم وتعريب محمد العربي الزيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

11. دان روس إ.: المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912، تر: أحمد بوحسن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2006.
12. الزهار أحمد الشريف: مذكرات، تح: المدني أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.
13. زوزو عبد الحميد: ثورة بوعمامة 1881-1908، جزآن، موفم للنشر، الجزائر، 2010.
14. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992
15. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992
16. سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر 2009.
17. سعيدوني ناصر الدين: عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، الرياض 2000.
18. سي يوسف محمد: مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي، دار الأمر للطباعة والنشر، تيزي وزو 2000.
19. الشقراني احمد بن عبد الرحمن: القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط، تح: ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013
20. عمراوي حميدة وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009.
21. فرح محمد الصغير: تاريخ تيزي وزو، تغريب زمولي، منشورات ثالثة، الجزائر، 2007.
22. فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2002.
23. قرقوة إدريس: لالة فاطمة نسومر، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2013.

24. لكحل الشيخ: مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة 1851-1906، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي 2019.
25. مزيان سعدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل، ج1، دار سنجاق الدين للكتاب 2010.
26. ملاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر 2006.
27. منورة العربي: تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، 2007، الجزائر.
28. مياسي ابراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011.
29. مياسي إبراهيم: لمحات من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، الجزائر.

ثانيا: باللغة الأجنبية

1. Bellemare Alex.: Abd-El-Kader sa vie politique et militaire, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris 1863.
2. De La Martinière H.-M.-P. et Lacroix N.: Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, Gouvernement Général de L'Algérie, Alger 1897
3. De La Martinière H.-M.-P. et Lacroix N.: Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, Gouvernement Général de L'Algérie, Alger 1897
4. Graulle E.: Insurrection de Bou-Amama (avril 1881), Henri Charles Lavauselle Editeur Militaire, Paris 1905.
5. Lavauselle Editeur Militaire, Paris 1905.
6. Louis Rinn: Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie, Librairie Adolphe Jourdan, Alger 1891.
7. Si AZZIZ: Mémoires d'un accusé Si Azziz Ben Mohamed Amezian Ben Chikh ElHaddad à ses Juges et ses Défenseurs, Trad: Ernest Mercier, Imp.Marl, Constantine 1873

8. Trumelet Corneille: Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864, Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire, Alger, 1879.

9. Trumelet Corneille: Les français dans le désert, Challamel Aîné Éditeur, Paris, 1885.